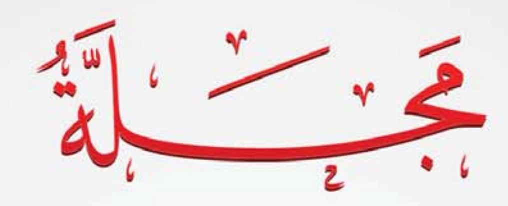



بحث مستل من:




# كلية الدراسات الإسلامية

للبنين بأسوان

علمية - مُحكمة - نصف سنوية

◆ العدد الرابع

ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - يونيو ٢٠٢١ م

# العلمانية المعاصرة وموقفها من الوحي الإلهي

## دراسة نقدية

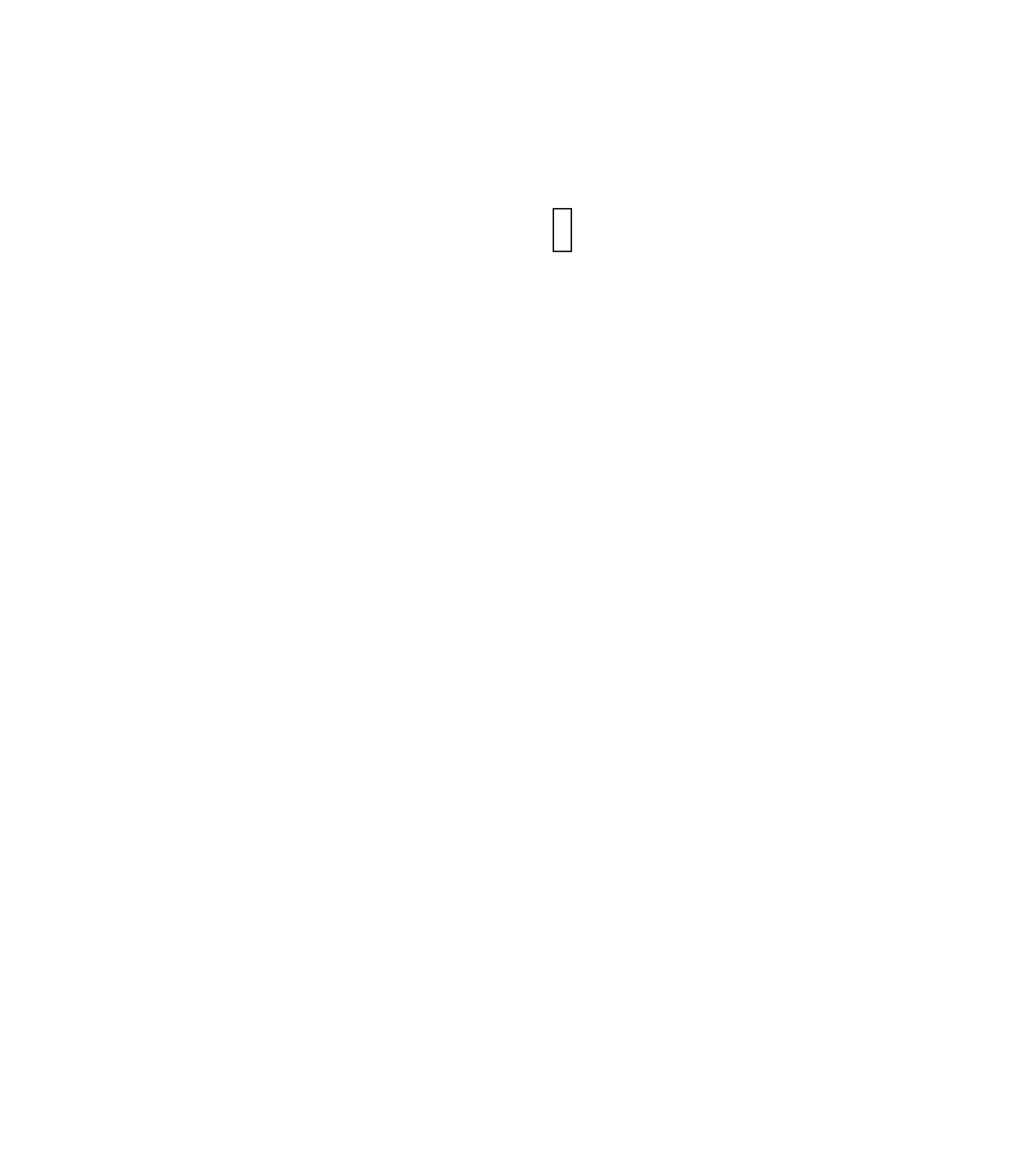
إعداد

د. محمود حربي محمد

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية بأسوان

جامعة الأزهر



# العلمانية المعاصرة وموقفها من الوحي الإلهي (دراسة نقدية)

محمود حربي محمد أحمد
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية للبنين، جامعة الأزهر، أسوان، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: MahmoudHarby.43@azhar.edu.eg

**ملخص البحث:**

الإيمان بالوحي الإلهي ضرورة حتمية للإيمان بالقرآن الكريم وبالرسالة؛ لأن الوحي هو الوسيلة لإنزال القرآن على قلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والوحي ليس خاصاً بسيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل الوحي ظاهرة عمَّت جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ لأن مصدرها واحد، وغايتها واحدة، ومن ثم كانت قضية الوحي بجوانبها المختلفة هي الركن الأساسي الذي قامت عليه الرسالات؛ ولهذا السبب ركز العلمانيون ودعاة الحداثة على إضعافه وزحزحته عند المسلمين عن طريق بث الشبه والأفكار الهدامة حوله، وقد عرض البحث هذه الشبه وتعقبها بالنقد والتفنيد، وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. المقدمة وتضمنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجي فيه. والتمهيد اشتمل على التعريف بمصطلح العلمانية، ونشأتها في أوربا، وتاريخها في البلاد الإسلامية، والتعريف ببعض أقطابها في البلاد الإسلامية. والمبحث الأول تناول مفهوم الوحي الإسلامي وموقف العلمانية منه. والمبحث الثاني تناول: نزول الوحي وهيئاته وموقف العلمانية منها. والخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

**الكلمات المفتاحية**: العلمانية، الوحي، الشبهات، دراسة نقدية.

# Contemporary secularism and its position on divine revelation (a critical study).

Mahmoud Harbi Mohamed Ahmed.

Department of Aqeedah and Philosophy, Faculty of Islamic Studies for Male, Al-Azhar University, Aswan, Egypt.

Email: MahmoudHarby.43@azhar.edu.eg

## Abstract:

Believing in divine revelation is an imperative for believing in the Holy Qur’an and its message. Because revelation is the means to bring the Qur’an down to the heart of the Prophet Muhammad "peace be upon him", and revelation is not specific to our master Muhammad "peace be upon him", but revelation is a phenomenon that pervaded all the prophets, may blessings and peace be upon them. Because its source is one, its goal is one, and hence the issue of revelation in its various aspects was the main pillar on which the messages were based; For this reason, the secularists and advocates of modernity focused on weakening it and displacing it among Muslims by spreading similarities and destructive ideas about it. The research presented this similarity and tracked it with criticism and refutation, and this research has been divided into an introduction, an introduction, two articles and a conclusion. The introduction included the importance of the topic, the reasons for choosing it, and its methodology. The introduction included defining the term secularism, its origins in Europe, its history in Islamic countries, and the definition of its poles in Islamic countries. The first topic deals with the concept of Islamic revelation and the position of secularism on it. And the second topic dealt with: the revelation and its bodies and the position of secularism on it. And the conclusion included the most important results that I reached through this research.

**Keywords**: Secularism, Revelation, Suspicion, Critical study.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد:

فلقد عاشت الأمة الإسلامية أكثر من ألف سنة في مقدمة الأمم؛ حملت خلال هذه الفترة حضارة الإسلام الزاهرة إلى بقية أمم الأرض، بعلمها وخلقها وإيمانها بموعود ربها، فدخل الناس في دين الله أفواجاً راغبين بما عند الله والدار الآخرة، وبما أعده لعباده الصالحين.

وعندما بدأ الغرب نهضته المادية بعد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، التي قامت على نبذ النصرانية وطغيان الكنيسة، بدأ الشرق الإسلامي في كبوته؛ وبدأت الأمة الإسلامية تفقد ريادتها التي ميزتها طوال عصور وجودها، وأصيبت بالإنبهار الثقافي والعلمي الذي حققته أوروبا، وسرى في الأمة الإسلامية حب تقليد الغرب، فوجد من أبناء الإسلام من ربط بين نبذ الدين والتقدم العلمي، أو ما عرف باسم (العلمانية) وهي فصل الدين عن واقع الحياة، فدخلت العلمانية إلى العالم الإسلامي، ووجدت من بني جلدتنا من يروج لها عن طريق الإعلام والتعليم، فانتشرت واستشرى شرها، حتى

تمكنت من فرض هيمنتها على كثير من أصقاع البلاد الإسلامية؛ يساعدها في ذلك الوهن والضعف العقدي الذي دب في أوصال المسلمين.

وأصبح العلمانيون في العالم الإسلامي يصورون الشريعة الإسلامية كمصدر رئيس للتخلف الذي لف رواقه على المسلمين، منادين في الوقت نفسه باللحاق بركب أوروبا عن طريق نبذ هذا الدين، والتخلص من تراث الماضي، ولا تتمثل خطورة العلمانيين في رفضهم لتحكيم الشريعة في واقع حياة المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقط؛ وإنما امتد خطرهم إلى التشكيك في أصول هذا الدين، ودعائمة الأساسية التي يقوم عليها؛ ومن ذلك التشكيك في (الوحي الإلهي) الذي يعتبر الركن الأساسي الذي قام عليه الدين.

ولما كان الوحي الإلهي هو الميزة التى مُيِّز بها الرسل، وهو آية علو مقامهم، قال تعالى: (قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ...) سورة فصلت (٦).

فقد ركز العلمانيون على إضعاف وزحزحة هذا الجانب العقدي في حياة المسلمين عن طريق بث الشبه والأفكار الهدامة حوله.

**وكان من أسباب اختياري للموضوع ما يلي:**

١- كثرة الشبهات وانتشار التشكيك من قبل العلمانيين فى الوحي الإلهي.

٢- ما ترتب على شيوع هذه الشبهات من انحلال أخلاقي وضعف عقدي، كان سببه أصلاً كسر هيبة النص الديني من خلال كثرة الشبه التي يبثها هؤلاء العلمانيون.

٣- إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية التي هي أحوج ما تكون الآن إلى

الدراسات المعاصرة التي تكشف شبهات العلمانية وترد عليها.

٤- توجيه اهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين من الشباب العربي المسلم الذين انساق بعضهم إلى التأثر بهذه المناهج، والانبهار بها ؛ إلى الأسس التي قامت عليها، وإلى النتائج الخطيرة التي تمخضت عنها، من تشكيك في العقيدة، ودحض للوحي وللنبوة، وافتراء على التاريخ، وتزييف للحقائق.

**أما عن منهج البحث:**

فقد اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج التحليلى النقدي، حيث يلزم تحليل أقوال بعض العلمانيين ونقدها، مع مراعاة الآتي:-

١- الرجوع إلى المصادر المعتمدة عندهم، مع الحرص على كثرة الشواهد من أقوالهم، لأنها بمثابة وثائق يدانون بها.

٢- التحلى بالتجرد والنزاهة، وعدم التعصب والتحيز لرأي أو فكرة.

٣- الترجمة الموجزة لمن تطلب الأمر الترجمة له من الأعلام الواردة في ثنايا البحث.

**وقد رتبت هذا البحث** على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس للمراجع والمصادر وفهرس لمحتويات البحث.

**المقدمة**: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الباحث فيه.

**التمهيد**: ويشتمل على التعريف بمصطلح العلمانية، ونشأتها في أوربا،

وتاريخها في البلاد الإسلامية، والتعريف ببعض أقطابها في البلاد الإسلامية.

**المبحث الأول**: مفهوم الوحي الإسلامي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الوحي لغة وشرعاً.

المطلب الثاني: أنواع الوحي وموقف العلمانية منها.

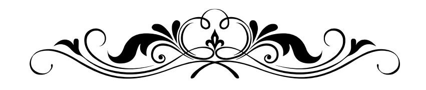
**المبحث الثاني**: نزول الوحي وهيئاته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: كيفية نزول الوحي وهيئاته.

المطلب الثاني: موقف العلمانيين من نزول الوحي وهيئاته.

**الخاتمة:** وفيها أهم النتائج، وقائمة المصادر والمراجع، ومحتويات البحث.



## التمهيد

### التعريف بمصطلح العلمانية

هذا المصطلح (العلمانية) قد اختلف فيه اختلافاً كبيراً، شأنه شأن مصطلحات أخرى مثل: التنوير، والعولمة، وغيرها مما شاع استخدامها واختلف الناس في تعريفها.

**ففى المعاجم الأوربية:**

**منها معجم اللغة البريطانية عن مادة** " علمانية" ما يلي:

١- علمانية (secularism) ما يهتم بالدنيوي أو العالمي، وبالتحديد هي الاعتقاد بالدنيويات.

٢- العلماني (secularist) وهو ذلك الشخص الذي يؤسس سعادة الجنس البشري في هذا العالم دون اعتبار للنظم الدينية أو أشكال العبادة[١].

**وفي معجم أكسفورد بيان معنى كلمة علماني** (secular) كما يلي:

دنيوي أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً، مثل التربية اللادينية، والسلطة اللادينية، والحكومة المناهضة للكنيسة، وهو الرأي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية[٢].

**أما في المعجم العربي فتوجد ترجمات مختلفة لكلمة** (secular) و

(١) معجم اللغة البريطانية العالمية (٣/ ١١٣٨).

(٢) معجم أكسفورد (ص ٨٤٩- ٨٥٠)، العلمانية للدكتور سفر الحوالي (ص ٢٢)، ط: دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

(laique) منها:

١- العِلمانية: بكسر العين نسبة إلى العِلم.

٢- العَلمانية: بفتح العين نسبة إلى العَلم بمعنى العالم.

٣- الدنيوية: أي الإيمان بأنها هي الحياة الدنيا ولا يوجد سواها.

٤- الزمنية: بمعنى أن الظواهر مرتبطة بالزمان والدنيا، ولا علاقة لها بالغيبيات [(١)].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن هناك اتفاق بين المعاجم على أن العلمانية هي توجه دنيوي، يسعى لصرف الناس عن الاهتمام بالآخرة، والاهتمام بالعالم الحاضر، وتكرس محبة هذا العالم لأنه الخير الوحيد الحقيقي الذي يجب أن يُعترف به.

أما عن مفهوم العلمانية عند المفكرين الإسلاميين في العالم العربي فقد تعددت آراؤهم، واختلفت أقوالهم في ضبط النطق بها.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: "... والذي تبين لي بعد الفحص، أن العِلمانية نسبة إلى العِلم -بكسر العين- على أنها نسبة على غير بابها، إذ الأصل أن يقال: عِلمي، ولم أجد في اللغة العربية شيئاً اسمه العَلم بفتح العين مما يتعلق بموضوعنا هذا، وإنما يقال: عَلِم عَلَماً، من باب تَعِبَ، أي: انشقت شفته العليا، والوصف منه للرجل: أَعْلَم، وللمرأة عَلْماء.

وبذلك يمكن تعريفها: "فالعِلمانية في الاصطلاح السياسي والاجتماعي

---

(١) المعجم الوسيط (٣/٦٢٤) ط: دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

تعني ذلك النظام الاجتماعي والسياسي المتحرر عن سلطان الدين والمتخذ لنفسه نهجاً حيادياً بالنسبة إليه، فهو لا يؤيده ولا ينابذه، ويدير مبادئه وأحكامه على مقتضيات العلم الحديث وحده"[١].

أما الدكتور محمد عمارة فيرى أن مصطلح (العلمانية) هو: نسبة غير قياسية إلى العالم بفتح اللام أو إلى العالمية (secularism) والعلماني (secular) هو الذي يتبناها فرداً كان أو جماعة أو مجتمعاً أو دولة، ولقد نشأت العلمانية وصيغت كمقابل للمقدس بمعناه الكنسي اللاهوتي الكاثوليكي... فهى المقابل لما هو ديني وكهنوتي على النحو الذي عرفته أوربا الكاثوليكية في عصورها الوسطى والمظلمة[٢].

**والخلاصة**: إن (العلمانية) سواء فتحت عينها أو كسرت، وسواء نسبت إلى (العِلم)، أو إلى (العالَم) فهي تصلح تعبيراً عن الظاهرة المادية التي تستولي اليوم على مجتمعاتنا الإسلامية، وذلك لأن الكلمتين متكاملتان متفاعلتان من حيث المفهوم، فالعَلمانية هي تكريس للدنيوية، والعِلمانية أساس هذا التكريس؛ لأن العلم بمفهومها هو العلم المادي والتجريبي والطبيعي- أي الدنيوي فقط-، ولا تعترف بعلوم غيبية ميتافيزيقية أخرى، فالعَلمانية وإن لم ترتبط بالعلم من حيث الاشتقاق فإنها لا تنفك عنه، إذ هي

(١) يغالطونك إذ يقولون للبوطي (ص ٣٣- ٣٤) ط: دار الفارابي دمشق ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م الثانية، العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر للبوطي (ص ٢٤٧) ط: جامعة دمشق ١٩٩٢م الخامسة.

(٢) نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام (ص ١٦) ط: دار الرشاد القاهرة، الثانية ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

ارتبطت تاريخياً بتعلم العلوم العقلية والطبيعية والتجريبية.

**نشأة العلمانية في أوربا**:

ظهرت العلمانية في أوربا منذ القرن السابع عشر، وأخذت عبر التاريخ الحديث للغرب عدة معان، فكانت تعني "فصل الدين عن الدولة" في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وفي القرن التاسع عشر تحولت إلى "إبعاد الدين عن الدولة"، وجاء القرن العشرون ليخفف قليلاً من موقف الدولة والأفراد تجاه الدين، ويتمثل هذا التغير الطفيف في عودة السلطة الزمنية للكنيسة الكاثوليكية في عام ١٩٢٩م، بإعادة قيام دولة الفاتيكان كوحدة سياسية بعد أن أدمجت الولايات البابوية في مملكة إيطاليا منذ عام ١٨٧٠م[١].

**أسباب ظهور العلمانية:**

لظهور العلمانية علاقة وشيجة بتاريخ الكنيسة؛ لأن الكنيسة كانت صاحبة الكلمة النافذة، والسلطة المهيمنة طوال القرون الوسطى في أوربا، وكان تاريخها مع العلم والفكر والحرية تاريخاً مخيفاً، فقد وقفت مع الجهل محاربة العلم، ومع الخرافة معادية الفكر، ومع الاستبداد والقهر خانقة الحرية؛ وبسبب هذا عاشت أوربا صراعاً رهيباً بين الدين - الكنيسة- وبين العقل، ذهب ضحيته علماء كبار، وأحرقت - من أجله- تلال من الكتب، وسالت - في ساحته- الكثير من الدماء.

هذا الصراع أنتج بالضرورة ظهور العلمانية، والإيمان بالمذهب المادي

(١) تاريخ البشرية، اللجنة الدولية، بإشراف منظمة اليونسكو (٦/ ٢٩٥ وما بعدها)، ترجمة: عثمان نويه، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.

الذي اتسمت به الحضارة المعاصرة.

فقد ذهب دعاة العلمانية بأن العلمانية هي الدعوة إلى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس، ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة، والتحرر من العقائد الغيبية التي هى عندهم ضرب من الأوهام ومن العواصف بكل ضروبها: وطنية كانت أو دينية، بزعم أنها تضلل صاحبها وتحول بينه وبين الوصول إلى أحكام موضوعية محايدة(١).

وقد كان ظهور العلمانية خطوة طبيعية في الفكر الغربي نتيجة قصور المفاهيم الدينية التي كان يحملها رجاله عن مجاراة النهضة، فكان هذا القصور مع تلك الحملة الضخمة التي شنتها الكنيسة على العلم؛ مصدراً من المصادر الهامة في زيادة التحدي الذي رد به رجال النهضة بإقصاء الدين كلية عن محيط الفكر والمجتمع في الغرب.

ومنذ ظهور العلمانية وإلى اليوم إتخذ الفكر الأوربي موقفاً عدائياً لا من الأفكار والتصورات الكنسية التي كانت سائدة يومذاك، بل من الأفكار والتصورات الدينية، إلى منهج التفكير الديني بجملته، واتجه الفكر الاوربي إلى ابتداع مناهج ومذاهب للتفكير، الغرض الأساسي منها هو معارضة منهج الفكر الديني، والتخلص من سلطان الكنيسة(٢).

(١) الإسلام في حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة د. محمد البهي (ص ١٢)، سقوط العلمانية أنور الجندي (ص ٣٩)، ط: دار الكتب اللبناني- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

(٢) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته (ص ١٦) ط: دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٩٧٨م.

## تاريخ العلمانية في البلاد الإسلامية:

كانت الحملة الفرنسية على مصر عام (١٧٩٨م) بداية الغزو العسكري والفكري الجديد، فكانت العلمانية واحدة من الوافد الغربي في ركاب الغزاة؛ لأن بونابرت لم يصحب معه المدفع وحده، بل جاء بفكرة الحضارة الغربية، وبالمطبعة والصحيفة أيضاً، ومنذ ذلك التاريخ بدأ التغريب الذي يعد من أخطر التحديات التي واجهت المسلمين في العصر الحديث[١].

وبعد أن قامت للاستعمار الغربي سلطة ودولة في كل موقع من بلاد الإسلام، وأخذ يُحل النزعة العلمانية في تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل (الإسلامية)، ومن خلال ذلك زحفت العلمانية بقوة وانتشرت بين المسلمين مع جيوش الغزاة، ومدارسهم العلمانية التي افتتحوها في بلاد المسلمين، ومن معهم من المستشرقين، الذين أصبحوا فيما بعد أساتذة للعلمانيين فى بلادنا[٢].

## تراجم لبعض أقطاب العلمانية في بلاد الإسلام.

### - الدكتور محمد أركون

جزائري من مواليد عام ١٩٢٨م، أتم دراسته بباريس عام ١٩٥٥م،

(١) الحوار بين العلمانيين والإسلاميين د. محمد عمارة (ص ٩) ط: دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د محمد البهي (ص ٥٢ وما بعدها) ط: دار الفكر - بيروت، ١٩٧٠م الخامسة، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا محمود محمد شاكر (ص ١١٣)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

وحصل على الدكتوراه من جامعة السربون ١٩٦٩م، حول الإنسية العربية في لقرن الرابع الهجري، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية.

معظم مؤلفاته بالفرنسية، وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - بالمقاييس الغربية وبالاستفادة من المعطيات التي خلفها ماركس ونيتشه وغيرهما.

من آرائه: أن مفهوم الدين لم يبلور بلورة كافية للقيام بقفزة نظرية لا نتردد معها أن نجزم بأن الأديان ما هي إلا أيديولوجيات[1].

- **الدكتور طيب تيزيني**

طيب تيزيني، ولد بحمص (سوريا) عام ١٩٣٤م، تخرج من جامعة دمشق، وحصل على الدكتوراه فى الفلسفة من ألمانيا عام ١٩٦٧م، عمل أستاذا جامعيا بجامعة دمشق، من أنصار الفكر القومي الماركسي، يعتمد على الجدلية التاريخية في مشروعه الفلسفي لإعادة قراءة الفكر العربي منذ ما قبل الإسلام حتى الآن، له العديد من المؤلفات منها: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، توفي سنة ٢٠١٩م.

- **الدكتور حسن حنفي**

حسن حنفي حسنين أحمد، ولد بالقاهرة عام ١٩٣٥م، أستاذ جامعي، تخرج من كلية الآداب قسم الفلسفة جامعة القاهرة عام ١٩٥٦م، حصل على الماجستير ثم الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩٦٦م، عمل أستاذاً بكلية

(١) مجلة الوحدة: العدد ٦ - ١٩٨٥م.

الآداب جامعة القاهرة، وجامعة فيلادلفيا بالولايات المتحدة.

انضم إلى حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدي في الفترة من عام ١٩٧٦م- ١٩٨١م، وأصبح رائد التيار اليساري، وأحد أبرز منظريه، ومن خلال آرائه نلاحظ ميله الشديد للاتجاه الماركسي أو العلماني ومحاولة تنزيلهما على التراث الإسلامي كله، فهو يقول مثلاً: إن التراث والتجديد ليس عملاً للبرجوازية حتى ولو كانت وطنية، بل هو عمل لطليعة الطبقة العاملة، لأنه إعادة لتفسيرات التاريخ من وجهة نظرها وبناء على متطلباتها(١).

- **الدكتور نصر حامد أبو زيد**

ولد بالقاهرة في إحدى قرى طنطا عام ١٩٤٣م، حصل على الليسانس من كلية اللغة العربية جامعة القاهرة ١٩٧٢م، ثم الدكتوراه عام ١٩٧٩م، تابع مسلك أستاذه حسن حنفي، له الكثير من الأمور المخالفة للعقيدة الإسلامية، وقد حكمت المحكمة بردته والتفريق بينه وبين زوجه، هاجر من القاهرة إلى هولندا، توفى عام ٢٠١٠م(٢).

- **الدكتور هشام جعيط**

علماني تونسي، ولد عام ١٩٣٥م في تونس العاصمة لعائلة من

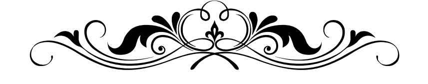
---

(١) هموم الفكر والوطن العربي د. حسن حنفي (٦١١/٢) ط: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، التراث والتجديد د.حسن حنفي (ص ٦٤)، ط: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٢م.

(٢) مفهوم النص في الدراسات الإسلامية الحديثة د. يحيى محمد ربيع (ص ٨)، ط: ٢٠٠٠م.

المثقفين والقضاة وكبار المسؤولين من البرجوازية الكبيرة.

حاصل على دكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة السوربون بباريس سنة ١٩٨١م، قام بنشر العديد من الأعمال الفكرية والأكاديمية صدرت باللغتين العربية والفرنسية، منها أوربا والإسلام وهو من أسوأ كتبه يدافع فيه عن اليهود ويتهم النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بظلمهم حاشاه ذلك.



# المبحث الأول

# مفهوم الوحي الإسلامي

بعد حديثنا عن مفهوم العلمانية، وظهورها أنتقل للحديث عن الوحي ومفهومه عند العلمانيين، وموقفهم منه، فأقول وبالله التوفيق:

## المطلب الأول

## الوحي لغة وشرعاً

**أولاً: - الوحي في اللغة**:

الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. **فالوحي**: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي.

**والوحي**: الكتاب والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان. وأوحى الله تعالى ووحى[(1)].

**وأصل الوحي**: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي[(2)].

وعلى ذلك فالوحي بالمعنى اللغوي هو: إعلام خفي سريع، سواء كان

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس القزويني (٦/ ٩٣) ت/ عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٧٩)، ط: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

(٢) مفردات في غريب القرآن للأصفهانى (ص ٨٥٨)، ت/ صفوان الداودي، ط: دار القلم- دمشق بيروت الأولى ١٤١٢ هـ.

بالكتابة أم الإشارة أم الكلام الخفي.

وقد جاء الإطلاق اللغوي للوحي في القرآن الكريم على عدة معانٍ منها:

١- الوحي بمعنى الإلهام الفطري للإنسان، قال تعالى: (وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي) سورة القصص (٧).

٢- الوحي بمعنى الإلهام الغريزي للحيوان، قال تعالى: (وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) سورة النحل (٦٨).

٣- الوحي بمعنى الإشارة، قال تعالى: (فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) سورة مريم (١١).

## ثانياً: - الوحي في الشرع:

هو: "أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده، كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر"[١].

وقيل هو:" إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه"[٢].

**وقد سئل الزهري عن الوحي فقال:** الوحي ما يوحي الله إلى نبي من

(١) مناهل العرفان للزُّرْقاني (١/ ٦٦)، ط: دار الكتاب العربي- بيروت ١٩٩٥م الأولى.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٩/١) ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

الأنبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدث به الناس حديثا ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه[١].

فالوحي إذا أُطلق في لسان أهل الشرع انصرف إلى التعليم السَّرعي الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء، فهو أخص من المعنى اللغوي بخصوص مصدره ومورده[٢].

## ثالثاً: - مفهوم الوحي عند العلمانيين:

يستشكل العلمانيون الوحي؛ لأنهم يزعمون أن مفهومه تلوعب به من قِبل أشخاص مأذونين (أو أكفياء)، وغير مأذونين مع الكثير أو القليل من استخدام الأسئلة والأدوات والمناهج الملائمة، وذلك لتلبية أغراض شتى[٣].

**يقول محمد أركون**: "... ونحن نعلم أن مفهوم الوحي، كان قد بسَّط وضيَّق وحطَّ من قدره، ثم أخيراً هُجر من قِبل العقل العلمي المستنير وترك لمسيَّري أمور التقديس، أي لرجال الدين في كل طائفة أو ملة، وما سأفعله أنا الآن يتمثل فيما يلي: إنني أزحزح المسائل القديمة في إطار معقوليتها

(١)الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٦٠) ت/ محمد أبو الفضل، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) المختار من كنوز السنة النبوية للدكتور محمد عبد الله دراز (ص١)، ط: محمد هاشم الكتبي- دمشق ١٩٧٧م..

(٣) القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون (ص ٢٩)، ط: دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولي ٢٠٠١م.

الانغلاقية إلى إطار آخر مختلف تماماً وأوسع بكثير، إنني أزحزحها إلى إطار الأشكلة[1] التعددية والمتنوعة الوجوه لمفهوم الوحي المعقد جداً والذي لم ينفك بعد.."[2].

فالعلمانيون يرون أن الوحي أساسه وجوهره علماني، وذلك لتفريغ محتواه، وتجريده من معناه، محاولة منهم لجعل الدين من صُنع البشر، وليس سماوياً موحى به من الله تعالى.

في هذا يقول: د. حسن حنفي: " والوحي ليس ديناً، بل هو البناء المثالي للعالم"[3].

ويقول أيضاً: " فالعلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر فى لحظات تخلف

---

(١) الأشكلة: هي جعل الشئ إشكالياً، لأن أركون يرى حسب نظره القاصر أن مفهوم الوحي التقليدى لا يمكن تجاوزه لأنه شديد الوضوح والبساطة، ولهذا يريد أركون أشكلته بأن يحوَّل الوضوح والبساطة اللتين يتميز بهما الوحي في المفهوم التقليدي إلى غموض وتعقيد، وذلك لكي تتحول اللام شكة إلى مشكة في تصور الناس.

هذا هو مفهوم (الأشكلة) الذي يطرحه أركون، ويفسره هاشم صالح - مترجم الكتاب - بأن الشكلة وسيلة لتحقيق (الأرخنة) يعني أن نجعل البدهيات والثوابت مشكلة، لكي نتمكن من تجاوزها عن طريق طرح أفهام جديدة تزحزح الفهم السائد والمستقر.

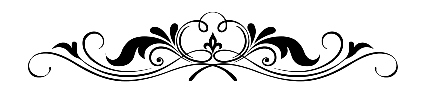
(٢) القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون (ص ٢٧ - ٢٨).

(٣) التراث والتجديد د. حسن حنفي (ص ٨٦ - ٨٧).

المجتمعات وتوقفها عن التطور"[1].

وعلى هذا فإن إرجاع جوهر الوحي إلى العلمانية يعني إلغاء معني النبوة والرسالة ؛ لأن الوحي هو منبع أخبار الغيب وأحكام التشريع كافة، وبالتالي يكون الوحي نتاج فكر إنساني قابل للتبديل والتغيير.

يقول د. البوطي: " والوحي هو الأساس الأول الذى يقوم على حقيقته معنى النبوة والرسالة، ومن ثم فهو المنبع الأول لعامة الإخبارات الغيبية، وشؤون العقيدة وأحكام التشريع، ذلك أن حقيقة الوحي هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده، ويشرع بواسطة رأيه وعقله، والإنسان الذى يبلِّغ عن ربه دون أن يغيَّر أو ينقص أو يزيد "[2].



---

(١) المصدر السابق (ص ٦٩).

(٢) كبري اليقينيات الكونية (ص ١٨٦).

## المطلب الثاني
## أنواع الوحي وموقف العلمانية منها.

جمع المولى (عَزَّوَجَلَّ) أنواع الوحي في قوله تعالى: (وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) سورة الشوري (٥١).

هذه الآية الكريمة تفيد أنه ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلاَّ على أحد ثلاثة أوجه، قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: (واعلم أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي، إلا أنه تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي، لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام فهو يقع دفعة، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى، فهذا هو الكلام في تمييز هذه الأقسام بعضها عن بعض)[1].

**الوجه الأول:** (وَحْياً) بأن يلقي الله تعالى المعنى إلى النبي مباشرة إما عن طريق:

أ- الإلهام والقذف في القلب: كما أوحى الله تعالى إلى أم موسى أن أرضعيه، ومنه قوله (صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ):( إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا..)[2]، ويتم ذلك من غير

---

(١) مفاتيح الغيب لفخر الرازي (٢٧/ ٦١١) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة (١٠/٢٦)، ط: السعادة - مصر١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، والسيوطى في الفتح الكبير (١/٣٦٤)، ط: دار الفكر - بيروت / لبنان الطبعة: =

واسطة ملك.

ب- الرؤية المنام: كما أوحى الله إلى إبراهيم(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بذبح ولده إسماعيل(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، ومنه رؤيا النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الحديث الصحيح[1].

الوجه الثاني: (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) بأن يكلم الله (عَزَّ وَجَلَّ) النبي من وراء حجاب، وذلك مثل ما حصل لسيدنا موسى(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، كما أخبرنا (عَزَّ وَجَلَّ): (فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ) سورة القصص (٣٠).

الوجه الثالث: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ) بأن يرسل الله تعالى رسولًا من الملائكة إلى النبي ليبلغه الوحي، ورسول الملائكة هو جبريل (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)[2].

فالوحي وأساسه وجوهره هو الشرع، وليس من صنع البشر، فلولا

---

=

الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (وضعفه).

(١) عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح... الحديث، أخرجه الإمام البخاري (١/٧) باب بدء الوحي، حديث رقم (٣)، والإمام مسلم (١/١٣٩) باب بدء الوحي، حديث رقم (١٦٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٥٣)، ط:دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٦٤م، روح البيان للألوسي (٨/٣٤٥)، ط: دار الفكر - بيروت.

الشرع لما عُرف الوحي.

يقول الدكتور محمد سعيد البوطي:" إن مصدر كلمة (الوحي) في حياة سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هو الخبر الذي نقل إلينا عن طريق القرآن وعن طريق السيرة وصحاح السنة، فلولا أن الكلمة وردت إلينا من هذه المصادر، لما كان لها وجود في أفكارنا ولا في أفكار أعداء الإسلام، ومن ثَمَّ لم يكن ليقوم حولها أي بحث، ولم تكن لتفسر بأي نظرية من النظريات، أو معنى من المعاني، لا عندنا نحن المسلمين، ولا عند أولئك الآخرين"[1].

**موقف العلمانيين من أنوع الوحي:**

يخلط العلمانيون بين الرؤيا المنامية التي فيها إعداد نفسي، وروحي للوحي الصريح الظاهر، وبين رؤية الوحي يقظة.

يقول د. نصر حامد أبو زيد: " هل يمكن أن نقول إذن أن المرحلة الأولى من مراحل الوحي - مرحلة الشدّة والغط والتحول من جانب النبي- كانت مرحلة أشبه بالرؤيا حيث تتلقى نفس النبي - بناء على هذا التصور- من الملك رسالة ذات شفرة خاصة يحولها النبي بعد ذلك إلى رسالة لغوية ؟ وهل يمكن أن نقول إن التعود والألفة - مع توالى عملية الاتصال- جعلت الوحي ممكناً فى حالة اليقظة بالكلام اللغوي العادي ؟

تتضافر الحقائق لتجيب عن هذا السؤال بالإيجاب، والحقائق التي نشير إليها هي الحقائق كما عرفتها الثقافة.. من هذه الحقائق ما ترويه السيدة عائشة: كان أول ما بدئ به رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الوحي الرؤيا

(١) كبرى اليقينيات الكونية (ص ١٨٧- ١٨٨)، ط: دار الفكر المعاصر - لبنان ١٩٩٧م.

الصادقة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالى أولات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها...

إن التشابه والتماثل بين إحدى حالات الوحي وبين (الرؤيا) أمر مؤكد في الثقافة العربية الإسلامية سواء قبل الاسلام - مرتبطاً بالعرافة والكهانة- أم بعده، إن ما يحدث للأنبياء شبيه بما يحدث للنائم في حلمه مع فارق في الدرجة هو أن: حال النوم أدون منه بكثير[(١)]"

هكذا نرى نصر أبو زيد يستدل بحديث السيدة عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) مبتوراً ليسلم له الجواب عن سؤاله (هل يمكن أن نقول إذن إن المرحلة الأولى من مراحل الوحي كانت مرحلة أشبه بالرؤيا..)

وهذه خيانة علمية منه؛ لأن بقية الحديث - لو ذكره - لفسد استدلاله الباطل، فالحديث يقول: (حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني... )[(٢)]

---

(١) مفهوم النص نصر حامد أبو زيد (ص ٥٠- ٥١)، ط: المركز الثقافي العربي -بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

(٢) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي... الخ، ينظر صحيح البخاري (١/٧) باب: كيف كان بدء =

فرؤية الملك، والأمر بالقراءة ثلاث مرات، والغط ثلاث مرات حتى بلغت منه المشقة، كل هذا ليس من الرؤيا والمنام في شئ.

كذلك ربط نصر أبو زيد بين ظاهرة الوحي والعرافة والكهانة، وزعمه أن ما يحدث للأنبياء شبيه بما يحدث للنائم في حلمه، يبين لنا موقف الاتجاه العلماني من الوحي، وأنهم يردونه إلى المخيال الشعبي والوحي النفسي أو الهاجس الداخلي.

ولهذا يقول الكاتب هشام جعيط: ".. ولعل كبار المؤسسين (أي للأديان) كانوا كذلك على الأقل من وجهة أنهم سخروا حسَّاتهم لهاجس داخلي ونداء باطني"[(١)].

**شبهات العلمانيين حول أنواع الوحي والرد عليها**:

أثار العلمانيون بعض الشبه حول أنواع الوحي منها:

- **إنكار حديث بدء الوحي**[(٢)]:

ينكر العلمانيون حديث بدء الوحي؛ لأنه الأصل في الوحي، فهو في نظرهم باطل سنداً ومتناً.

يقول **إبراهيم فوزي** معلقاً على هذا الحديث: "وهذه القصة التي يرويها

=

الوحي إلى رسول الله (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)، رقم الحديث (٣).

(١) الوحي والقرآن والنبوة هشام جعيط (ص ١٨)، ط: دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

(٢) سبق تخريجه ص (١٣٤٢).

عروة بن الزبير عن عائشة وهو ابن أختها بهذه اللغة الركيكة، لحادثة وقعت قبل ولادة عائشة بسنين عديدة.

وهي لم تذكر كيف علمت بها، ولا ممن سمعتها، ولم تقل أن النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حدثَّها بها، ولم تسند سماعها إلى أحد من الصحابة الذين عاصروا خديجة (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا).

وقالت عن ورقة بن نوفل أنه كان نصرانياً، وقد مجَّدته وعظمته ورفعته إلى درجة النبوة، إذ تنبأ للنبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن قومه سيخرجونه من مكة، وقال له إن الملك الذى جاءه فى غار حراء هو الناموس، يعني جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حسب تفسير النووى، وجبريل هذا ليس له ذكر فى الإنجيل أو التوراة"[1].

ويرى هشام جعيط: أن قصة بدء الوحي مشوبة بالمسيحية: "... وهي قصة تعبر عن الأنتروبولوجيا[2] العربية بخصوص الخير والشر، وعلاقة ذلك بالمرأة وجنس المرأة، إلا أنها مشوبة بقسط من المسيحية، نجده بقوة عن ورقة بن نوفل الذي لا يمكن قبول حكمه حول البعثة"[3].

هكذا نري العلمانيون يشككون فى حديث بدء الوحي بطرق كثيرة منها

---

(١) تدوين السنة ابراهيم فوزي (ص ١٧٥) ط: رياض الريس للكتب والنشر، الثانية ١٩٩٥م.

(٢) كلمة يونانية تنقسم إلى كلمتين: Anthropos وتعني إنسان، وlogos وتعني علم، ليتشكّل ( علم الإنسان )، من أشهر تعريفات هذا العلم: (علم الإنسان والحضارات والمجتمعات البشريّة، وسلوكيّات الإنسان وأعماله.

(٣) الوحي والقرآن والنبوة (ص ٣٩).

أن لغة الحديث ركيكة، كما زعم إبراهيم فوزي، وصدق المتنبي إذ قال:

ومـــن يـــكُ ذا فـــم مُـــرَّ مـــريضٍ ** يجـــد مُـــراً بـــه المـــاء الـــزُّلالا

وتارة بدَّعائهم أن السيدة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، رفعت ورقة بن نوفل إلى درجة النبوة، وهي لم تقل ذلك، ولم تزد على أنه تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي.

وتارة بالقول بأن قصة بدء الوحي مشوبة بالمسيحية، والفضل في ذلك يرجع لورقة بن نوقل، وأنه تنبأ بخروج النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) من مكة.

**والرد على ذلك نقول:**

ثبت في الصحيح: أن السيدة خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا انطلقت بالنبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) وذلك بعد أن جاءه جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ في غار حراء - إلى ورقة بن نوفل بن أسد، ابن عمها، وكان امرءً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء **الله** أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمَّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول **الله** (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) بخبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس - أي: أمين الوحي جبريل- الذي نزَّل **الله** على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيَّاً، إذ يخرجك قومك. فقال رسول **الله** (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ): أومخرجيَّ هم؟ قال: نعم. لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلَّا عُودي، وإن يدركني يومُك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي[1].

(١) أخرجه البخاري (١/٧) باب كيف (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)، رقم (٣)، صحيح مسلم (١/١٣٩) =

أولاً: هذا الحديث في الصحيحين، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، ولا يشك أحد ممن عرف منهج النقد الحديثي في صحة هذه الرواية وثبوتها.

ثانياً: روي الحديث أن ورقة لم يلتق بالنبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وحده، بل كانت معه خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وورقة علم ما جرى للنبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بمقارنة ما وقع لموسى (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، فقال له: هذا الناموس، أي أمين الوحي جبريل (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، لأن الوحي واحد لكل الأنبياء، وتوقُّع إخراجه حين يدعوهم وتمنِّي نصره آنئذٍ.

كل هذا يدل على أن الوحي الذي نزل عليه (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعلى الأنبياء من قبله هو من عند الله تعالى، الذي علمه وألهمه وهداه، فليس لورقة من ذلك شئ سوى التصديق بأنه سيكون رسول الناس، فكيف يكون مصدر علم النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟

وإذا كان ورقة بهذه الدرجة من العلم، فلماذا لم يأتِ بما أتى به النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كالقرآن الكريم، ولماذا لم يدّعي النبوة، وإنما بشَّر بنبوة سيدنا محمد (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟

كذلك لو كان لورقة أو غيره فضل على النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ لا تهمته قريش بذلك، حين كانت تلفق التُّهم عليه تلفيقاً، أو نقله أتباعه (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذين لم يتركوا شيئاً صغيراً أو كبيراً إلا ودونوه.

=

باب:كان بدء الوحي إلى رسول الله (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رقم (١٦٠).

أضف إلى ما تقدم أن: طبيعة النصرانية، وهي دين ورقة، لا تتفق مع ما جاء به النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فكيف تكون مصدراً لديانته وقرآنه، كما أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم يلق أحد من أحبار اليهود ولا رهبان النصارى، ولم يثبت اتصاله بهم، وهذا ما أكده الباحثون.

وأخيراً: الثابت أن ورقة قد توفي في بداية الدعوة الإسلامية، ولم يشهد كل الوحي المحمدي، والناظر في القرآن الكريم بأحكامه القاطعة بالصحة، المتتابعة، النازلة في مدة ثلاث وعشرين سنة، المتشعبة الكثيرة، في العقائد والمعاملات والحكم والأخبار الغيبة وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة، يحكم ببداهة العقل أنها ليست مأخوذه عن جلسة سريعة، والتقاء بسيط مع راهب أو غيره، إذ كيف يقطع بصحة تلك الأحكام على كثرتها والأخبار الغيبية من وراء تلك الجلسة؟ كل ذلك يدل على أن ما جاء به كان تلقياً من الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: (وَما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ) سورة يونس (٣٧).

وما ذهب إليه العلمانيون ليس جديداً، بل قد سبقهم إليه المستشرقون، يقول المستشرق إميل درمنغم: "إن محمداً التقى بورقة بن توفل وأخذ عنه أصول دينه"[(١)].

---

(١) حياة محمد لإميل درمنغم (ص ٨٥)، ترجمة: عادل زعيتر، ط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الثانية ١٩٨٨م.

وحاذاه أيضاً المستشرق المعاصر (مونتجمري واط)[1] حذو النعل بالنعل، فذهب يؤكد على ارتباط محمد (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من خلال زوجه خديجة بورقة، يقول: "كانت خديجة ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد، وهو رجل متدين اعتنق أخيراً المسيحية، ولا شك أن خديجة قد وقعت تحت تأثيره، ويمكن أن يكون محمداً قد أخذ شيئا من حماسه وآرائه"[2].

- **ثانياً: إنكارهم ملكية جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

يدعي الكاتب هشام جعيط أن الكيان (جبريل) لا يمكن أن نسميه ملكاً، لأنه اسم عبري وليس عربي وبهذا يعيب على المفسرين ويتهمهم بالغفلة لأنهم لم يتنبَّهوا لذلك، يقول: (.. الحقيقة أن هذا الكيان لا يمكن أن نسميه ملكاً، وصف فى التكوير بأنه (ذو قوة)، وفى النجم بأنه (شديد القوى) ولم يتنبه المفسرون والمترجمون إلى أن هذا الوصف هو ترجمة عربية لاسم جبريل، وللاسم الأصلي العبري (جبرائيل)، و"جبر" تعني القوة والقوي، و"إيل" هو الله بالعبرية القديمة"[3].

ويدعي إبراهيم فوزي أن جبريل - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - لم يذكر لا في التوراة ولا في الإنجيل[4].

(١) وات مونتغمري، مستشرق بريطاني، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرا، من آثاره: محمد في مكة- محمد في المدينة، ينظر: المستشرون للعقيقي (٢/ ١٣٢).

(٢) محمد في مكة لمونتجمرى واط (ص ٧٤- ٧٥)، تعريب: شعبان بركات، ط: المكتبة العصرية صيدا- بيروت.

(٣) الوحي والقرآن والنبوة (ص ٣٦).

(٤) تدوين السنة إبراهيم فوزي (ص ١٧٥).

**الرد:**

لا خلاف بين العلماء في ملكية جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ- والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: (**مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ**) سورة البقرة (٩٨).

ومن السنة قول النبي(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (**ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الوَحْيُ فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**) [(١)].

ولا ريب أن التشكيك في ملكية جبريل- عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو تشكيك في الرسالة نفسها؛ لأنه إن لم يكن ملكاً، فماذا يكون؟ أيكون رئياً من الجن كما قال المشركون من قبل، أم وهماً على حسب زعمه.

وأما القول بأن المفسرين قد غفلوا عن المعنى الذي ذكره، فهذا يدل على غفلتهم هم ؛ لأن المفسرين ذكروا ذلك في كتبهم.

يقول الإمام النسفي: "وتتولى الملائكة تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ"[(٢)].

وأما ادعاؤهم عدم ذكر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوراة والإنجيل، وهذا يعنى عدم صحة حديث الغار، فهم قد غفلوا عن أن التوراة والإنجيل لم

---

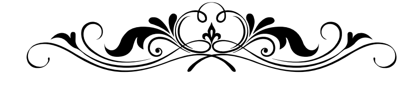
(١) صحيح البخارى (١٦٦/٤) كتاب بدء الخلق، رقم (٣٢٣٨).

(٢) تفسير النسفي (٣٧١/٣)، ط: دار الكلم الطيب- بيروت، الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، البحر المحيط في التفسير لإبي حيان (٥٤٨/٩) ط: دار الفكر - بيروت ١٤٢٠هـ.

تحفظ كما حفظ القرآن الكريم، وأنهما تعرضا للتبديل والتحريف، ولعله كان مذكوراً ثم أتت عليهما يد التحريف فمحته!

ولو وجدوا اسم جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ- فى التوراة والإنجيل، لقالوا: إن هذا الحديث مأخوذ من أهل الكتاب، فيكون وجوده في التوراة والإنجيل دليلاً على بطلان الحديث أيضاً.

ولكن وجود جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ- في القرآن الكريم يكفي لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فكلام الله تعالى لا يحتاج إلى تزكية.



## المبحث الثاني
## نزول الوحي وهيئاته

### المطلب الأول
### كيفية نزول الوحي وهيئاته

العلم بكيفية الوحي سر من الأسرار التي لا يدرك كيفيتها العقل، وسماع الملك من الله تعالى ليس بحرف أو صوت، بل يخلق الله تعالى للسامع علماً ضرورياً، فكما أن كلامه تعالى ليس من جنس كلام البشر، فسماعه الذي يخلقه لعبده ليس من جنس سماع الأصوات[(١)].

ولنزول الوحي على النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) أساليب مختلفة هي:

أ- أن يأتي إلى النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) على صورته الحقيقة المَلَكيَّة.

ب- أن يأتي إلى النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) على صورة رجل فيكلمه، كما في الصحيح: « وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»[(٢)].

فيراه الحاضرون ويستمعون إليه، كما في حديث عمر بن الخطاب (رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ): (قال: بينما نحن عند رسول الله (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، ... وقال يا محمد أخبرني

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص ١٠٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، إرشاد الساري للقسطلاني (١/ ٦٠)، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٢) صحيح البخاري (١/٦)، كتاب بدء الوحي، رقم (٢).

عن الإسلام... إلخ)

وكان قد سأل النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن الإسلام والإيمان وأمارات الساعة، ورسول الله يجيبه، حتى إذا انتهى من أسئلته وذهب، قال رسول الله: «فإنه جبريل (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، أتاكم يعلمكم دينكم »[1].

ج- أن يأتي إلى النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغير والانفعال، والرسول يصف حالته عند الوحي فيقول: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ »[2].

قال الإمام الخطابي: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه، ولا يتثبته أول ما يقرع سمعه، حتى يفهمه من بعد ذلك، قال العلماء: والحكمة في ذلك أن يتفرغ سمعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يبقى فيه ولا في قلبه مكان لغير صوت الملك[3].

ولهيئات الوحي مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقان:

أحدهما: أن النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ينخلع من الحالة البشرية إلى الحالة الملكيَّة، ويأخذ من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان يصحب ذلك صوت كصلصلة

---

(١) صحيح مسلم (٣٦/١) باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، رقم (٨).

(٢) صحيح البخاري (٦/١)، كتاب بدء الوحي، رقم (٢).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٨٨)، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثانية١٣٩٢هـ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢٠/١)، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه.

الجرس، أو دوي كدوي النحل، يسمعه الحاضرون، وكان يغيب (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيها عمن حوله، ويثقل جسمه حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك[1]، ويتصبب عرقه، فإذا ما سُرِّي عنه، وجد نفسه واعياً لكل ما سمع من الوحي، فيبلغه كما سمعه[2].

وثانيهما: أن الملك انخلع إلى البشرية، فيأتي في صورة رجل حتى يأخذه الرسول منه[3]، وهذه الحالة نادرة وقليلة، وقد ورد عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم ير جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على هذه الصورة إلاَّ مرتين: مرة في الأرض، وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء عند سدرة المنتهى ليلة المعراج[4].

وفى الحالتين صعوبة وشدة على الجِبِلَّة البشريَّة، لذلك كان يحدث في

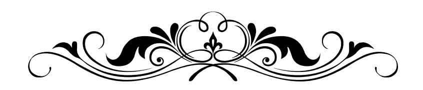
(١) عَنْ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "إِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا"، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤١/ ٣٦٢) رقم الحديث (٢٤٨٦٨)، وقيل: حديث صحيح وهذا سند حسن.

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد أبو شُهبة (ص ٦٢)، ط: مكتبه السنة – القاهرة، الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) الوحي المحمدي (ص ٨٣) وفيه قول ابن خلدون، سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٤٢).

(٤) سألت السيدة عائشة عن قوله تعالى: {ولقد رآه بالأفق المبين} [التكوير: ٢٣]، {ولقد رآه نزلة أخرى} [النجم: ١٣] ؟ فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنا أول هذه الأمة سأل عن هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» صحيح مسلم (١٥٩/١) باب معنى قول الله تعالى "ولقد رآه نزلة أخرى"، حديث رقم (١٧٧).

تلك الحالة غيبة وغطيط[1]، يشير إلى هذا قول الله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) سورة المزمل (٥).



(١) إرشاد الساري (١/ ٦٠).

**الجِبِلَّة**: الخلِقْة والطبيعة، **الغطيط**: تردد النَّفَس صاعداً إلى الحلق حتى يسمعه من حوله، ينظر المصباح المنير مادة (جَبَل)، ومادة (غطه).

## المطلب الثاني
## موقف العلمانيين من نزول الوحي هيئاته

للعلمانيين تجاه هيئات الوحي ونزوله شبهات عدة، تدور كلها على تفسيره تفسيراً مادياً وبشرياً، لا يعدو كونه نشاطاً من الأنشطة الإنسانية الفردية، وأنه جاء نتيجة تأثيرات روحانية أو قوى عقلية، أو انفعالات نفسية، أو تأملات باطنية، لبعض الأفراد الذين تميزوا بعبقرية فذَّة في جانب، أو أكثر من جوانب الشخصية الإنسانية، جعلتهم يصلون إلى ما لا يقدر عليه غيرهم من الإنتاج الفكري، والإصلاح الروحي والعملي، وتفصيل هذه الشبهات التي وردت حول هيئات الوحي كما يلي:

**الشبهة الأولى:**

**الحالات الجسدية التي كانت تعتري النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ما هي إلا أحوال نفسيه وعاطفية.**

يرى العلمانيون أن الحالة الجسدية التي كانت تعتري رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ما ينسلخ من حالته البشرية إلى حالة ملكية، ما هى إلا أحوال نفسية وعاطفية مفعمة بالقلق والتوتر التي هى أشبه بمن يصاب بحالة نفسية مرضية كالصرع والوحي النفسي، أو إلهام يستلزم درجة هائلة من التركيز المرهق.

**يقول طيب تيزيني:** " وإذا تمعنا في الخصائص التي تميز الحديث عن القرآن، فلعلنا نقول بأنها تتمثل خصوصاً في ظروف ولادتيهما المختلفة، ونقصد بذلك أن المسألة طرحت من موقع أنَّ الظروف الوحيية الاستثنائية

كانت مهاد القرآن، فى حين أنَّ الظروف البشرية الاعتيادية مثّلت حاضنة الحديث.

أمَّا ظروف القرآن فتتجسد فى أحوال نفسية وعاطفية مفعمة بالقلق والتوتر والشدة غالباً... وهذا يشير إلى أن النص القرآني يمتلك من التركيز والتوتر الذهني والعاطفي ما يجعله مشروطا بعملية معقدة وطويلة وخفية غالباً من التأمل والتبصَّر.

أما النص الحديثي فيتمثل بكونه وليد وضعية نفسية وعاطفية منبسطة، هي أميل إلى المكاشفة منها إلى المباطنة، ومع ذلك تنعقد بين النسقين المذكورين من العلاقات ما يجعلهما ينحدران من مصدر عقيدي واحد ويمتحان منه بالاعتبار الوظيفي الدلالي"[(١)].

**ويقول نصر أبو زيد:** " وهذه التفرقة بين حالتي الوحي - حالة الدوي التي هي رتبة الأنبياء غير المرسلين، وحالة تمثُّل الملك رجلاً يخاطب هى رتبة الأنبياء المرسلين- وحالتي التحول المشار اليهما عند علماء القرآن، يمكن أن تكون تفرقة بين النصين الدينيين: القرآن والسنة. وفي تحليل ابن خلدون افتراض ضمني بأن حالة التحول من البشرية إلى الملكية، أى التحول من جانب محمد، تنفي الاتصال اللغوي حيث يكون التلقي رمزاً من الكلام - عبر عنه في الحديث بالدوي- يتلقى من خلاله النبي المعنى الذي يصوغه هو بعد ذلك لابلاغه. في هذه الحالة يكون اعتماد الاتصال على حاسة (السمع)

---

(١) النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة لطيب تيزيني (ص ١٣١ - ١٣٢) ط: دار الينابيع - دمشق ١٩٩٧م.

دون (الرؤية). وعلى ذلك يكون الاتصال في هذه الحالة قريباً من حالة (الالهام)، لكنه الهام يستلزم درجة هائلة من التركيز المرهق"[١].

ويزعم أيضاً أن الاعتراض على الوحي لم يكن اعتراضاً على عملية الاتصال ذاتها بين إنسان ومَلَك، بل كان اعتراضاً إما على مضمون الوحي أو على شخص الموحى إليه[٢].

وإنما قال ذلك ليربط بين ما سمَّاه الأساس الثقافي للوحي وبين ظاهرتي الشعر والكهانة في العقل العربي[٣].

ثم يدعي نصر حامد أبو زيد أن حالة انسلاخ النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ) عن البشرية إلى الملائكية، يمكن أن تكون حالة الوحي بالسنة النبوية، بينما حالة تحول الملك إلى الحالة البشرية خاصة بالوحي القرآني.

**يقول**: "... وقد لا يتفق معنا ابن خلدون في القول بأن الحالة الأولى- حالة الانسلاخ عن البشرية- يمكن أن تكون حالة الوحي بالسنة، بينما تكون الحالة الثانية - حالة تحول الملك إلى البشرية- خاصة بالوحي بالقرآن..."[٤]

## نقد الشبهة:

يصوَّر لنا العلمانيون الحالات التي حدثت للرسول (صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ) قبل

---

(١) مفهوم النص (ص ٤٦ - ٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص ١٤١).

(٣) مفهوم النص (ص ٥٦)، التفسير الماركسي للإسلام د. محمد عمارة (ص ٥٥)، ط: دار الشروق- القاهرة، الأولى ١٩٩٦م.

(٤) المصدر السابق (ص ٤٨).

- وفي أثناء تلقيه الوحي- تصويراً علمانياً نفسياً ومادياً، بعيداً عن الحقيقة الشرعية للوحي كما وردت في القرآن والسنة، ويتماشى مع ما ذكره المستشرقون من شبه حول الوحي.

فزعمهم أن الوحي كان نتيجة تركيز وتوتر عقلي وعاطفي مرهق انحراف في التصور، لأن عقل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن مرهقاً، بل كان سوياً ؛ لأن حالة الإرهاق حالة غير سويَّة، ولا تكون على مستوى الاستعداد لتقبل الوحي من الله تعالى.

فالوحي ليس من قبيل الحدس ودلالات النفس والتفكير المستديم الطويل، أي: إنه ليس من قبيل الوحي النفسي، الذي هو الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية.

بل الوحي أمر طارئ زائد على الطباع البشرية، خارج عن النفس والباطن، لا يخضع لأي تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الذات الإلهية، بواسطة الملك الموكل بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ سورة الشعراء ١٩٢- ١٩٥.

والذي يدقق النظر في كيفية الوحي ومَعَالِمه، وما يطرأ على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ظواهر يدرك أن الوحي لا يتصل بهوى النفس.

ويتضح ذلك في الأمور الآتية[1]:

(١) الوحي المحمدي (ص ٨٩) وما بعدها، كبرى اليقينيات الكونية (ص ١٩٨) وما بعدها.

١- الظواهر التي تصاحب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين يوحى إليه، تشهد أن الوحي لم يكن من قبيل حديث النفس منها:

أ- يسمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلصة شديدة عليه، كصلصلة الجرس المتصلة الشديدة المتداركة، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ).

ب- يتفصَّد عرقاً في اليوم الشديد البرد، فعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا)[1].

ج- يَغِطُّ في رأسه، ويتربد وجهه، (أي: يتغير فيصبح كلون الرماد)، قال عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أنزل عليه الوحي كُرب لذلك، وتربَّد وجهه)[2].

د- يسمع الصَّحابة عند وجه النَّبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)حين الوحي دويّاً شديداً كدوي النحل حين ينطلق من خليته، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ)[3].

---

(١) سبق تخريجه ص١٣٥٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب عرق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البرد..، رقم ٢٣٣٤.

(٣) سنن الترمذي (٥٠٤/١) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنين، رقم ٣١٧٣، والحاكم في المستدرك (٧١٧/١) رقم (١٩٦١)، وقال صحيح الإسناد.

هـ- يثقل جسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ - أي القرآني لثقله عليه- شِدَّةً)[1].

ويذكر في حال نزول الوحي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(حتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض، إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه، حتى كادت ترُضُّها)[2]، وهذا مصداق قوله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)- المزمل (٥).

ولا يتحمل هذا الثقل إلا نبي، ليرتاض جسده على تحمل عبء النبوة، كل هذه الظواهر من الآلام، والغطيط، وتربّد الوجه، وتفصّد العرق في اليوم الشديد البرد...، تدل على أن الوحي مستقل عن نفس سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن حديث النفس والإلهام والتأمل لا يستدعي ظهورها.

٢- إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يستشرف النبوة، وما كان يرجوها، ولم يطمع في حصولها له، بل لم يرد في الأخبار الصحيحة أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل البعثة، ولو ثبت ذلك عنه لما ترك المحدثون تدوينه، وقد دونوا ذلك عن أمية بن أبي الصلت لما كان يتوقع أن يكون

---

(١) صحيح البخاري (٦/١) باب كيف كان بدء الوحي رقم (٥)، صحيح مسلم (٣٣٠/١) باب الاستماع للقراءة رقم (٤٨٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ٢٥)، كتاب الجهاد والسير، باب قوله تعالى(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضرر) رقم ٢٨٣٢.

نبياً.

٣- كذلك ما زعمه نصر حامد أبو زيد من أن الاعتراض لم يكن على الوحي وعملية الاتصال، بل كان على مضمون الوحي أو شخص الموحى إليه، وما بناه على هذا الزعم من الربط بين الوحي والشعر والكهانة اللذين هما الأساس الثقافي للظاهرة - زعمه ذاك، يغدو ظاهر البطلان، جديراً بالخذلان عندما نقرأ قوله تعالى: (وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاَّ أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً. قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً) الاسراء:( ٩٤- ٩٥). وغيرها من الآيات المتضافرة على هذا المعنى.

يتبين لنا أن اعتراض الناس على أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، كان لكونهم بشر من جنسهم يأكلون ويشربون، وهم يريدون ملائكة تختلف عنهم، فالاعتراض إذن على عملية الاتصال بين الإنسان والمَلَك لا كما قرره نصر حامد أبو زيد.

٤- إن ادعاء نصر حامد أبو زيد أن حالة الانسلاخ عن البشرية يمكن أن تكون حالة الوحي بالسنة، بينما حالة تحول الملك إلى الببشرية خاصة بالوحي القرآني، هو ادعاء خبيث يرى من خلاله نصر أبو زيد أن القرآن الكريم إلهي المعنى، محمدي اللفظ.

أ- الصحيح والمعتمد لدى علماء أهل السنة أن نزول القرآن ينحصر فى الصنف الأول، وهو انسلاخ النبي من حالته البشرية إلى حالة أخرى.

يقول الاستاذ الدكتور محمد أبو شهبة: " والذي نقطع به - والله أعلم- أنَّ القرآن الكريم كله، نزل في الحالة الأولى.. وهذا هو الذي يليق به، ونفي أي احتمال أو تلبيس في تلقيه، ولم أقف قط على رواية تفيد نزول شئ من القرآن عن طريق جبريل، وهو في صورة رجل، وكل ما جاء من ذلك في الأحاديث الصحاح، كحديث جبريل المشهور وسؤاله النبي عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها؛ فإنما هو في وحي السنة لا في وحي القرآن... وأيضاً لو أنزل شئ من القرآن في الحالة الثانية - وهي مجئ جبريل في صورة رجل- لكان هذا مثاراً للشك والتلبيس على ضعفاء الإيمان، ولكان فيه مستند للمشركين في قولهم: (إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) النحل: ١٠٣

وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله تعالى- حكاية لمقالة المشركين ورداً عليهم-: (وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ. وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) الانعام: ٨- ٩.

فكان من الرحمة بالعباد وعدم التلبيس عليهم أن لا ينزل القرآن إلا في هذا الجو الملائكي الروحاني"[١].

ب- هذا الادعاء يعارض بالاحاديث الصحيحة التي تقطع بأن وحي السنة كان في صورة تحول المَلَك إلى البشرية، كحديث سيدنا عمر بن الخطاب في مجئ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورة رجل لا يعرفونه، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر...

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٦٣ - ٦٥).

فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم[1].

فكيف يتفق هذا مع زعمه بأن انسلاخ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحالة البشرية يكون في حالة الوحي بالسنة، وتحول المَلَك إلى البشرية خاصة بالوحي بالقرآن !.

**الشبهة الثانية:**

**الوحي الذي يتنزل على النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حالة مرضية من الأمراض النفسية.**

يرى هشام جعيط أن الحالة التي يعيشها النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أثناء الوحي هى من النمط الاستلابي[2] أو الاستحوازي أو الامتلاكي، أنها حالة مرضية تصنَّف من الأمراض النفسية.

يقول:"... فتجوز المقارنة بينهم - أي الأنبياء- في صفة الاستلاب extase لا غير، على أن هذه الحالات المصاحبة للرؤيا والوحي أكثر تحضراً عند محمد مما جرى عليه الأمر لدى الأنبياء في نوباتهم العصبية، لأن ما كان يمس محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجري في داخل الضمير فلا يُبرهن عليه بأي اضطراب خارجي"[3].

والاستلاب والامتلاك والاستحواذ مفردات غريبة توصف بها حالة النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أثناء تنزُّل الوحي عليه. والهلس والهلوسة - في نظر

(١) صحيح مسلم (٣٦/١) باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، رقم (٨).

(٢) الاستلاب هو: تملك الأشياء بالقهر والقوة دون وجه حق.

(٣) الوحي والقرآن والنبوة هشام جعيط (ص ٧٨- ٧٩).

جعيط - تفسير صحيح للوحي في الغرب نادى به ماكس فيبر[١] وهذا التفسير سينتشر يوماً بين المسلمين فيسبب لهم تشنجاً [٢].

ويقول أيضاً:" والوحي إنما هو هجوم مباغت داخل الضمير لألفاظ ومعان مطبوعة بالغيرية، وقد يكون الوحي مستوحى أي مطلوباً في الفترة المدنية ومترقباً في آن.. وكان من الممكن ألا توجد رؤيا أو وحي إلهي، وأن يتكلم النبي عن الله ووحدانيته ونظام الكون واليوم الآخر والعبادات والأخلاق من لدنه، ويجد من يتبعه، وكان هذا شأن (ماني) وبدرجة أقل شأن (زردشت) و (البوذا).."[٣]

والجنون يمكن أن يعدَّ أصلاً للوحي، والجنون في القرآن لا يعني الاختلاط العقلي وذهاب العقل والتمييز، وإنما يعني أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسكون من الجن، والانبياء اقتربوا من الجنون دون الوقوع فيه[٤].

هذا المعنى الذى يفوه به هشام جعيط، نعثر عليه تصريحاً أو تلميحاً عند كل العلمانيين الذى تعرضوا لدراسة ظاهرة الوحي[٥].

---

(١) ألماني ولد عام ١٨٦٤م، عالم بالاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع، من مؤلفاته: كتاب الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية حيث أن هذا أهم أعماله المؤسسة في علم الاجتماع الديني.

(٢) المرجع السابق (ص ٩٢)، (ص ٩٦).

(٣) المرجع السابق (ص ٦٩).

(٤) المرجع السابق (ص ٨٥).

(٥) انظر: مفهوم النص نصر أبو زيد (ص ٦٥- ٦٧ - ٧٠)، القرآن من التفسير بالموروث محمد أركون (ص ٩٨) ط: دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولي ٢٠٠١م، =

**نقد الشبهة:**

إن العلمانيين يرددون شبه المستشرقين وغيرهم من أعداء الأنبياء والرسل؛ الذين جعلوا ما يحصل لأنبياء الله مثل الذي يحصل للمجانين والسحرة، قال تعالى: (كَذلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) سورة الذاريات (٥٢ - ٥٣).

فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن النبي(صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان مصاباً ببعض الأمراض النفسية والعقلية التي أثرت عليه، ونتج عنها ما ادعى أنه وحي من الله تعالى.

يقول المستشرق ألويس سبرنجر[١]: أن الحالة التي كانت تصيب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حالة صرع يغيب فيها عن الناس، وعما حوله ويظل ملقى على إثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقه، ويثقل جسمه.[٢]

=

من العقيدة إلى الثورة حسن حنفي (٤/ ٢٣٣) ط: دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

(١) مستشرق نمساوي، كان يحسن خمساً وعشرين لغة، وله إلمام جيد بالأدب الشرقي، عني بنشر نفائس من الكتب العربية كالإصابة في تمييز الصحابة، وكشاف اصطلاحات الفنون، والإتقان في علوم القرآن، وألف بالإنكليزية كتاباً " في السيرة النبويّة (حياة محمد)، مات سنة ١٨٩٣م، ينظر الأعلام للزركلي (٨/٢).

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم للدكتور عمر بن إبراهيم (ص ٣٩٦)، ط: دار طيبة - الرياض.

وبعض المستشرقين: اعتبرها حالة هستيرية، وتهيجاً عصبياً، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفسه كثيرة العواطف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه وشحب لونه، وخارت قواه[1].

هذا كله نشأ من خلال التصور الخاطئ والفهم السقيم لحقيقة الوحي والنبوة، والعجز عن معرفة العلاقة التي تربط بين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فهذه العلاقة لا تخضع للعلوم التجريبية والتحليلات النفسية، أو الاستنتاجات العقلية لعجز البشر عن إدراك كنهها وحقيقتها.

وهذه الشبهة هي عين الفرية التي رمت بها قريش النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فبرأه الله تعالى مما قالوا، بقوله تعالى: (فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ)- سورة الطور (٢٩).

وترد هذه الشبة حالة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عند تلقي الوحي كل مرة، بكمال الوعي، ووفرة النشاط، وقوة الأعصاب، وقوله للسيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (زملوني) لا يفيد أكثر من لجوئه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى الفراش، ليستريح بعد المنظر الرهيب الذي رآه، ولذلك يأمره الله تعالى بالقيام بإنذار الناس: (يا أيها المدثر قم فأنذر ).

ثم إن الجنون لا يمكنه أن يأتي بهذه الشريعة المتكاملة لجميع جوانب الحياة، التي لا يكون مصدرها إلا العقل الكامل النَّيِّر المبين، وقد كان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أكمل الرجال عقلاً، وأشدهم فطنة، وأصوبهم قولاً،

(١) حياة محمد للدكتور محمد حسنين هيكل (ص ٤٥) ط: دار المعارف

وأحكمهم فعلاً، وقد تحدى الله تعالى المشركين الذين عرفوه، وعايشوه، وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً، أو اختلال عقل، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ سورة سبأ (٤٦).

قال الإمام ابن كثير: "يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون إنما أعظكم بواحدة أي إنما آمركم بواحدة وهي أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة أي تقوموا قياما خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضا، ثم تتفكروا أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك" [(١)].

**الشبهة الثالثة:**

**الوحي عبارة عن ظاهرة إجتماعية وسياسية وثقافية صبغت بالصبغة اللاهوتية.**

يقول محمد أركون: " إن هذه الحقيقة الاجتماعية والسياسية والثقافية - الوحي- قد خُلعت عليها الصبغة اللاهوتية فوراً وحولت من قِبَل الخطاب القرآني إلى موضوع للمماحكة الجدالية بين فئة المؤمنين الأوائل الصغيرة العدد، وبين الكفار الذين جحدوا الله ومبادرته الكريمة على هذا المستوى التاريخي، ونلاحظ أن الخطاب القرآني قد صيغ (أو رُكب) لغوياً بصفته جهداً

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٦٤)، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

ذاتياً مبذولاً لرفع نفسه إلى مستوى كلمة الله الموحى بها، ونحن نقول اليوم بأنه كلام ذو سلطة مشابهة لسلطة العديد من الأقوال الأخرى السابقة التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى.."[(١)].

ثم يزعم أركون أن المعنى المعروف للوحى: وهو أنه ظاهرة مفارقة للواقع، وأنها اتصال بين الخالق والمخلوق، تصور ساذج وتقليدي من اختراع القديسين ورجال الدين.

ثم يقول: " نحن نهدف من خلال هذه الدراسة كلها إلى زحزحة مفهوم الوحي وتجاوزه. أقصد: زحزحة وتجاوز التصور الساذج والتقليدي الذي قدمته الأنظمة اللاهوتية عنه، ونحن نريد أن نزحزحه باتجاه فهم أكثر محسوسية وموضوعية.."[(٢)].

إذن الوحي بزعم أركون حقيقة اجتماعية وسياسية وثقافية، قد خُلعت عليها الصبغة اللاهوتية وحوَّلت من قبل الخطاب القرآني إلى موضوع للمماحكة الجدلية، وهو تصور ساذج وتقليدي من اختراع القديسين ورجال الدين، وهدفه من هذه الدراسة هو زحزحة الوحي من المفهوم الإسلامي، إلى المفهوم الوضعي الغربي المادي.

أما عن نصر حامد أبو زيد: فقد ذهب يبحث في الواقع العربي عن مبررات لجعل الوحي نتاجاً بشرياً صدر من الواقع؛ لذلك استند أولاً على مفهوم الخيال كما فعل الفلاسفة لجعل النبوة قريبة وفى متناول الإنسان،

---

(١) القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون (ص ٢١).

(٢) المرجع السابق (ص ٧٦ - ٧٧).

وليكون الفرق بين النبي وغيره من البشر أصحاب المخيلة القوية فرقاً في الدرجة وليس في النوع أو الكيف[1].

يقول نصر أبو زيد: "فالأنبياء والشعراء والعارفون قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء، وليس معنى ذلك التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفاعليتها، فالنبي يأتي على رأس قمة الترتيب، يليه الصوفي العارف، ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب"[2].

بهذا الشكل تصبح النبوة مندمجة في الواقع، فهي إحدى التجليات المشتركة بين البشر، والتي يمكنهم عن طريقها التواصل بشكل أكثر عمقاً مع العالم الخارجي.

ثم ذهب بعد ذلك يبحث عن أنماط ثقافية سائدة في المجتمع العربي ليدمج فيها ظاهرة الوحي والنبوة، بحيث تصبح مثلها مثل الأنماط الأخرى من إنتاج المجتمع، وإفراز الثقافة، ولهذا ذهب يؤكد على أن: " ارتباط ظاهرتي الشعر والكهانة بالجن في العقل العربي، وما ارتبط بهما من اعتقاد العربي بإمكانية الاتصال بين البشر والجن هو الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني ذاتها، ولو تصورنا خلو الثقافة العربية قبل الإسلام من هذه التصورات، لكان استيعاب ظاهرة الوحي أمراً مستحيلاً من الوجهة الثقافية، فكيف كان يمكن للعربي أن يتقبل فكرة نزول ملك من السماء على بشر مثله

(١) التفسير الماركسي للإسلام د. محمد عمارة (ص ٥٥).

(٢) مفهوم النص (ص ٥٦).

ما لم يكن لهذا التصور جذور في تكوينه العقلي والفكري، وهذا كله يؤكد أن ظاهرة (الوحي) لم تكن مفارقة للوافع أو تمثل وثباً عليه وتجاوزاً لقوانينه، بل كانت جزءاً من مفاهيم الثقافة ونابعة من مواضعاتها وتصوراتها"(١).

وعليه: " فالعلاقة بين النبوة والكهانة في التصور العربي أن كليهما وحي، وفي هذا كله تصبح ظاهرة الوحي ظاهرة غير طارئة على الثقافة ولا مفروضة عليها من خارج"، ومن ثم فإن "إلغاء الكهانة يؤدي إلى إلغاء الأساس الوجودي وكذلك المعرفي لظاهرة النبوة"(٢).

هكذا تنقَّب العلمانية وتبحث عن جذور ثقافية في البيئة العربية لتفسر من خلاله ظاهرة الوحي، وقد عثرث من خلال حامد أبو زيد على ظاهرة الشعر والكهانة.

ويبدو أن الوحي عندهم لم يكن ليقع أو يُحترم أو يتبع لو لم تكن هناك جذور مثالية مثبتة في الذهنية العربية، هذا هو الشرط الأساسي لقبول فكرة نزول الوحي على الرسول (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فالشرط المادي الاجتماعي أصبح له حضور أساسي في قبول فكرة الوحي، إن هذا التفسير لظاهرة الوحي هو تفسير ظهوراتي بمعنى أنه يقف على أرضية الفلسفة التجريبية المؤلهة لأقنوم الواقع المادي، وهذا يفضي به إلى الالتحام بالمنهج الديالكتيكي الماركسي(٣).

---

(١) مفهوم النص (ص ٣٨).

(٢) مفهوم النص (ص ٤١- ٤٤).

(٣) إشكالية قراءة النص د. إلياس قويسم (ص ١٥ - ١٦) رسالة جامعية، جامعة الزيتونة، =

وهو منهج التفسير الاجتماعي التاريخي لـ (دور كايمي) الذي يبدأ بتفسير الظاهرة من خلال أشكالها البدائية ثم الصعود إلى الحالة الراهنة،

يقول دور كايم: "في كل مرة نحاول تفسير ظاهرة إنسانية مأخوذة من لحظة محددة من الزمن، سواء أكان الأمر متعلقاً بمعتقد ديني أو بقاعدة أخلاقية أو بأمر قانوني أو بفن جمالي أو بنظام اقتصادي، فإنه يجب أن نصعد إلى شكله الأكثر بدائية وبساطة، وأن نفتش عن الخاصيات التي تتحد بواسطتها الظاهرة في تلك اللحظة من وجودها، ثم أن تبرر كيف تطورت وتعقدت وأصبحت على ما هي عليه في ذلك الوقت بالذات" [١].

وبذلك يتضح أن العلمانية تؤمن بأولوية الواقع على الفكرة، وأولوية الممارسة على النظرية، وهذا الموقف مناقض تماماً للفكر الإسلامي الأصولي ومضاد له، لأن الوحي عندهم انعكاس للحركة الواقعية، أما في الفكر الإسلامي الأصولى فالوحي غيب وهو فوق الواقع، ومتعالي عليه وموجه له.

وهذه الطريقة التفسيرية الدياليكتية عند نصر أبو زيد لا تختلف من حيث الأساس فحسب عن الطريقة التفسيرية الإسلامية، بل إنها ضده تماماً، فحركة الوحي التي يشخصها الفكر الإسلامي تنحدر من أعلى إلى أسفل، بمعنى أن الغيب أو الميتافيزقيا يصبح هو صانع للواقع، بينما في نظر نصر أبو زيد فعلى النقيض من ذلك فحركة الوحي ليست سوى انعكاس للحركة

---

=

المعهد الأعلى لأصول الدين.

(١) المرجع السابق (ص ١٦).

الواقعية[١].

وهذا هو نفس المنهج الذي يتبناه ماركس لمناهضة المنهج الهيجلي عندما يقول: إن طريقتي الديالكتيكية لا تختلف من حيث الأساس فحسب عن الطريقة الهيغلية، بل هي نقيضها المباشر، فهيغل يعدَّ أن عملية التفكير التي جعل منها ذاتاً قائماً بنفسه أطلق عليها اسم الفكرة، هي خالق العلم الواقعي، وهذا العالم الواقعي لا يمثل سوى الظاهرة الخارجية لتجلي الفكرة، أما عندي فالأمر معكوس إذ ليس المثالي سوى انعكاس وترجمة للعالم المادي في الدماغ البشري[٢].

**الشبهة الرابعة:**

**الوحي عبارة عن شعور داخلي تولّد من اللاشعور.**

يقول د. حسن حنفي: " ونصوص الوحي ذاتها نشأت في الشعور، إما الشعور العام الشامل، وهو ذات الله عَزَّوَجَلَّ أو في الشعور المرسَل إليه وهو شعور الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو شعور المتلقي للرسالة، وهو شعور الإنسان العادي الذي يشعر بأزمة فينادي على حل ثم يأتي الوحي مصدقاً لما طلب "[٣]، فالوحي ينبت في الشعور... ويحدث كله في الشعور"[٤].

---

(١) إشكالية قراءة النص (ص ١٢٣).

(٢) رأس المال لماركس (١/ ٤٦)، ترجمة: فالح عبد الجبار وآخرون، ط: دار ابن خلدون- بيروت، الأولى ١٩٨١م.

(٣) التراث والتجديد حسن حنفي (ص ١١٤ - ١١٥).

(٤) هموم الفكر والوطن حسن حنفي (ص ١٩ - ٢٠).

والوحي عند حسن حنفي أربعة أنواع: وحي مباشر من الله وهو الكتاب، ووحي تفصيلي من الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتوجيه من الله، ووحي جماعي من الأمة، فالأمة خليفة الله، ووحي فردي من العقل مستند إلى وحي الكتاب والسنة والجماعة، والأصلان الأولان - الكتاب والسنة- يدلان على الوحي المكتوب، والأخيران - الوحي الجماعي والعقلي- يدلان على الوحي الحي المستمر(١).

ولأن الوحي لم ينزل دفعة واحدة بل حسب حاجات الناس فهو إذن ليس وحياً معطى، بل هو مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تزخر بها حياة الفرد أو الجماعة، وكثير من الحلول لم تكن بادئ الأمر مُعطاة من قِبَل الوحي، بل كانت مقترحات من الفرد أو الجماعة، ثم أيدها الوحي وفرضها، فالوحي ليس عطاء بقدر ما هو فرض من الواقع وتأييد الوحي له(٢).

فالوحي ينبت نباتاً في الشعور، وينشأ نشوءاً في النفس الإنسانية وليس للإنزال أي حضور، وليس للوحي أى مصدر خارج الزمان والمكان " ويكون العيب كل العيب في جعل الوحي مطلقاً خارج الزمان والمكان أو حرفاً في نص مدون"، فالوحي ليس معطى من الله في لا زمان ولا مكان، بل هو تنزيل إلى البشر، وحلول في التاريخ(٣).

---

(١) دراسات إسلامية حسن حنفي (ص ٦١) ط: دار التنوير - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

(٢) دراسات إسلامية حسن حنفي (ص ١٧٥)، التراث والتجديد (ص ١١٤ - ١١٥).

(٣) دراسات إسلامية حسن حنفي (ص ٥٩، ص ٣٣٦).

هذا هو مفهوم الوحي عن حسن حنفي، فهو لا يتجاوز الفعل الانفعالي الذي يشعر به الإنسان حينما تواجهه مشكلة في حياته، وهي خاصية تسري على الإنسان العادي كما تسري على صاحب الرسالة، ومن هذا المنظور الوضعي للوحي تصبح الرسالة الإلهية ذات صبغة تاريخية، فهي ليست إلا نتاجاً لمجتمع معين، وثقافة معينة، وواقع معين، وبحيث يصبح الإنسان هو المشكاة الوحيدة للوحي لا يشاركه في هذه المهمة إلا الواقع، لأن مهمة الوحي كانت هي إضفاء الشرعية على ما يهواه الإنسان ويرغب به، " لأن البشر يتكلمون والله يسمع ويستجيب، والناس يتحادثون والله يرد... كلام الله إذن استجابة لكلام البشر"(١).

ويسير نصر حامد أبو زيد على نهج شيخه واستاذه حسن حنفي في أن الإنسان والواقع هما الأساس لعملية الوحي.

يقول: فالوحي نزل " بناء على نداء الواقع، واكتمل بناء على تطوره، وأعيدت صياغته طبقاً لقدراته وأهليته على ما هو معروف في الناسخ والمنسوخ، وهي عملية جدلية بين الفكر والواقع... الواقع الذي ينادي على الفكر ويطلبه، والفكر يأتي مطوَّراً للواقع ويوجهه نحو كماله الطبيعي، ثم يعود الواقع فينادي فكراً أدق وأحكم حتى يتحقق الفكر ذاته، ويصبح واقعاً مثالياً يجد فيه الواقع الطبيعي كماله"(٢).

---

(١) هموم الفكر والوطن حسن حنفي (١/٢٦).

(٢) نقد الخطاب الديني نصر حامد أبو زيد (ص ١٨٨)، ط: سينا للنشر- القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

وبناء على ما ذهب إليه حسن حنفي ومن تبعه يصبح الوحي تعبيراً عن الطبيعة الإنسانية، فهو مفهوم لا ينكر النبوة بل يعني استمرارها ودوامها، وذلك عن طريق نزوع الطبيعة كما يرى حسن حنفي يقول: " فالطبيعة هي الوحي، والوحي هو الطبيعة، وكل ما يميل إليه الإنسان هو الوحي، وكل ما يتوجه به الوحي هو اتجاه في الطبيعة، فالوحي والطبيعة شئ واحد، ولما كانت الطبيعة مستمرة فالوحي بهذا المعنى مستمر، والنبوة دائمة، ولكننا أنبياء يوحى إلينا من الطبيعة"(١).

فالوحي عند د. حسن حنفي لا يتجاوز كونه رد فعل انفعالي يشعر به أي إنسان حينما تواجهه مشكلة في حياته فيبحث لها عن حل، فهو في متناول النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يستطيع أن يستدعيه في الوقت الذي يريد، ويصرفه عندما لا يريد، فهو شعور كسبي يصل إليه الإنسان عن طريق بعض الممارسات والمحاولات، بل هو مجرد تبرير يُكسب تصرفات النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الشرعية السياسية ليضمن استجابة الناس له.

وهكذا يتجلى أن الإنسان والواقع هما الأساس لعملية الوحي، والإنسان يقابل العقل، والواقع يقابل التجريب، ومادام الأمر كذلك "فالعقل والتجريب سابقان على النبوة، بل والطريق إليها، كما أن العقل والطبيعة سابقان على النظر إلى الله والطريق إليه"(٢).

وهذه الرؤية تؤدي إلى تفريغ الوحي من مضمونه، وإعادة شحنه

---

(١) من العقيدة إلى الثورة (٤/ ١٥٢ - ١٥٣).

(٢) من العقيدة إلى الثورة (٤/٣٣).

بمضامين يختارها كل قارئ، وكل مغرض فهو منهج "في التعامل مع النصوص ينتهي في التحليل الأخير إلى التعامل معها بوصفها صوراً عامة فارغة قابلة للامتلاء بالمضمون الذي يفرضه المنهج، منهج الشعور الذاتي، وفي مثل هذا التصور لطبيعة النص تتساوى النصوص الدينية والنصوص الفكرية الكلامية"(١).

وبهذا فالوحي ليس نازلاً من الله تعالى، وإنما صادراً من داخل الحياة البشرية، وهو بهذا الشكل لا يتجاوز الخبرة والمنظور الإنساني لأنه:

- معطى بشرياً إنسانياً وليس ربانياً:
- مجموعة حلول قابلة للتعديل والتطوير، فالوحي ليس خارج الزمان بل في داخله ويتطور بتطوره(٢).
- نتاجاً لمجتمع معين وثقافة معينة وواقع معين.

وهكذا يتم تحييد الغيب من قبل العلمانيين؛ كما حيَّدت الماركسية الميتافيزيقيا، لأنها بنظرها تنكر التغير، وتتنكر للواقع، وتعجز عن تفسير كل جديد، وتبرر كل ما تعجز عنه بأنه مظهر من مظاهر الإعجاز الإلهي، ولذلك تتعارض الجدلية الماركسية مع الميتافيزيقيا من كل ناحية، كما يتعارض الوحي مع العقل والواقع في الخطاب العلماني، يقول حسن حنفي: "لا سلطان إلا للعقل، ولا سلطنة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه"(٣).

---

(١) نقد الخطاب الديني نصر أبو زيد (ص ١٨١).

(٢) التراث والتجديد حسن حنفي (ص ١١٥).

(٣) التراث والتجديد (ص ٤٥).

## خلاصة الموقف العلماني من الوحي الإلهي.

يمكن لنا أن نلخص الموقف العلماني من الوحي في النقاط الآتية:

١- الوحي هجوم مباغت داخل الضمير، والجنون يمكن أن يعد أصلاً للوحي، والنبوة مطبوعة بشئ من العصاب.

٢- الوحي لا يتجاوز كونه رد فعل انفعالي، يشعر به أي إنسان حينما تواجهه مشكلة في حياته فيبحث لها عن حل.

٣- الوحي عبارة عن شعور داخلي تولَّد من اللاشعور.

٤- الهلس والهلوسة تفسيرات صحيحة للوحي ستسود ذات يوم في الفكر الإسلامي.

٥- الوحي حقيقة اجتماعية وسياسية وثقافية، قد خُلعت عليها الصبغة اللاهوتية.

٦- الدعوة إلى تطبيق التجديد المعرفي الذي طبق على التراث اليهودي، والمسيحي، على ما يسمونه التراث الإسلامي، وخاصة ظاهرة الوحي.

يقول محمد أركون: "إن التجديد المعرفي والابستمولوجي(١)، الذي أقترح مدَّه لكي يشمل التراث الإسلامي، كان قد طبق سابقاً على التراث اليهودي- المسيحي، ولكن هذا التجديد لا يزال يُؤجل ويُرفض، بل ويُحرَّم

(١) كلمة يونانية الأصل مكونة من مقطعين Episteme وهي تعني معرفة، و Logos وتعني وتعني نظرية أو دراسة أو فلسفة، وبتركيب هذين المقطعين تصبح معنى الكلمة نظرية المعرفة، أو دراسة المعرفة، ينظر لغة العرب للدكتور جورج عبد المسيح (١/ ٤).

عند ما يتعلق الأمر بإدراج الوحي نفسه داخل برنامج البحث"[١].

ومن الواضح أن هذه العناصر جميعاً ترد الوحي إلى الحيِّز الإنساني الوضعي، وتسعى جاهدة لجعل الوحي نابعاً من ذات الإنسان، وليس نازلاً عليها من المطلق المفارق "إنه حالة استثنائية يغيب فيها الوعي، وتتعطل الملكات ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة لا يقدر النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته"[٢].

وفي الواقع لم يختلف الموقف العلماني عن الموقف الاستشراقي في هذا الصدد، فلقد اتفق جلَّ المستشرقين قديماً وحديثاً على أن الوحي لا يمكن أن يكون واقعة مستقلة عن كيان الرسول (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ونفسيته أو شعوره، فهو لدى بعضهم نوع من أنواع الصرع[٣]، ولدى آخرين نوع من أنواع الشعور الداخلي[٤]، أو الهلوسة[٥]، أو الهستريا العصبية[٦].

(١) القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني (ص ٢٩).

(٢) الإسلام بين الرسالة والتاريخ عبد المجيد الشرفي (ص ٤٠)، ط: دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٣) محمد حياته ومذهبه تور أندريا (ص ٥٠- ٥١) نقله عنه د. عبد الرحمن بدوى في كتابه دفاع عن محمد (ص ٥٩)، ت: كمال جادالله، ط: الدار العالمية للكتاب والنشر- القاهرة ١٩٩٩م.

(٤) كما يزعم مكسيم رودنسون نقلاً عن آراء الاستشراق الفرنسي القرآني (ص ١٠٤).

(٥) كما يزعم ماكس فيبر فيما ينقل عنه هشام جعيط في كتابه الوحي والقرآن والنبوة (ص ٩٦).

(٦) كما يزعم شبرنجر فيما نقله عنه د. عبدالرحمن بدوي في كتابه دفاع عن محمد (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (ص ٥٨).

والمتأمل في الرؤيتين الاستشراقية والعلمانية يجد أنهما انعكاس للفلسفة المادية الوضعية التي كرّسها فلاسفة النهضة الأوربيين منذ ديكارت وسبينوزا.

يقول سبينوزا: يختلف الوحي عند الأنبياء تبعاً لمزاجهم وبيآتهم واحوالهم، فالنبي الفرح توحي إليه الحوادث السلام، والانتصارات، والنبي الحزين توحي إليه الشرور، والهزائم، والأحزان[1].

فكان الصدى من د. حسن حنفي: الوحي عبارة عن مواقف إنسانية زاخرة بالأمل والمعاناه والجهد والفرح والألم وتجارب النفاق، والخداع، إنه قلق وضيق، وأمل وتوجع يحس به الفرد[2].

وكان الصدى من د. نصرحامد أبو زيد: فإن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم علي سواء، وليس معنى ذلك التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفاعليتها، فالنبي يأتي من دون شك في قمة الترتيب، يليه الصوفي العارف، ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب[3].

وهذه الرؤية العلمانية والاستشراقية حول الوحي لم تأت بجديد حول مفهوم الوحي الإلهي أو الاعتراض عليه، وإنما هو تكرار لموقف المشركين في معارضة النبي (صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ).

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا (ص ١٥٠- ١٥١).

(٢) في فكرنا المعاصر حسن حنفي (ص ١٨٠)، ط: دار التنوير - بيروت، الثانية ١٩٨٣م.

(٣) مفهوم النص حامد أبو زيد (ص ٥٦).

فلقد قال المشركون: شاعر[1]، وقال المُحدثون - علمانيون ومستشرقون - شعور داخلي.

وقال المشركون: ساحر [2]، وقال المحدثون: عبقري أو فنان.

وقال المشركون: مجنون[3]، وقال المحدثون: صرع أو هلوسة.

وقال المشركون: كاهن[4]، وقال المحدثون: هذيان أو استبطان.

وقال المشركون: يعلمه بشر[5]، وقال المحدثون: تعلم من ورقة بن نوفل.

فالوحي حقيقة خارجية منفصلة عن ذاته (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ولا خيار فيها، وإنما تفاجئه في أي وقت وبغير ميعاد، ويتفاعل معها جسمه وعقله وضميره ووجدانه ليؤدي الرسالة كما تصله، ويبلغها كما سمعها.

ولا قدرة للنبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على إحضار الوحي وجلبه، والدليل على ذلك فتور الوحي وانقطاعه عنه (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فترة من الزمن حتى شق ذلك عليه، وأحزنه وأقض مضجعه، ثم جاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد ذلك بقوله

---

(١) قال تعالى: (بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) - سورة الأنبياء (٥).

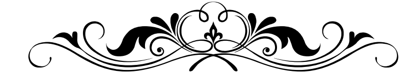
(٢) قال تعالى: (وَقالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ) - سورة الزخرف (٤٩).

(٣) قال تعالى: (فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ) - سورة الطور (٢٩).

(٤) قال تعالى: (وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ) - الحاقة (٤٢).

(٥) قال تعالى: (إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) - فصلت (١٠٣).

تعالى (وَالضُّحى. وَاللَّيْلِ إِذا سَجى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) سورة الضحى (١- ٣).



## الخاتمة

بعد أن استعرضنا موقف العلمانيون حول الوحي الإلهي، أود أن أشير إلى بعض النقاط المهمة التي توصلت إليها في هذا البحث، ومن أهمها ما يلي:

١- العلمانية هي فصل الدين عن واقع الحياة؛ وليس بينها وبين العلم أي صلة من ناحية النسبة.

٢- الاتجاه العلماني المعاصر ليس جديداً، إنما هو قديم جديد! فهو قديم من حيث أصول أفكاره وركائزها، فقد سُبق بمعظم أفكاره من المستشرقين، وهو جديد بأسلوبه وطريقته في عرض الفكرة، والاستفادة من الأفكار والفلسفات المعاصرة كالماركسية.

٣- الإسلام والعلمانية لا يلتقيان، إذ أن الحكم والتشريع لله وحده جلَّ وعلا، والعلمانية لا ترضى إلا بتنحية شرع الله من الأرض.

٤- إن من أخطر القضايا التي تناولها العلمانيون، وأولوها الاهتمام بالبحث والدراسة قضية الوحي إلى النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ ذلك لأن في إثبات الوحي إثباتاً للرسالة السماوية، وفي نفيه نفياً لها.

٥- شبهات العلمانيين حول الإسلام عامة، والوحي الإلهي خاصة، ما هو إلا تقليد لعلمانية أوروبا، لمحاولة زراعة بذور خبيثة، تثمر زعزعة وتشكيك في الثوابت الدينية.

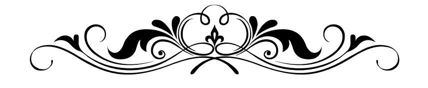
٦- غالبية شبهاتهم ليست من أجل التوصل إلى الحقيقة، ولكن من أجل إثارة الشك حول الدين الإسلامي، ومجادلة بالباطل كما قال تعالى:

(ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون).

٧- الجهل العلمي، والبحث عن الشهرة الدنيوية من الأسباب المؤدية إلى كثرة إثارة الشبهات حول الوحي الإلهي، فالطعن في (المقدس) هو أعظم باب عندهم للشهرة وكثرة الردود، ومن ثم يصبح اسم أحدهم على كل لسان وإن كان الذكر بالشر.

٨- أدت الشبهات حول المقدسات الدينية إلى كسرت هيبة النص الديني عند بعض المسلمين؛ مما أدى إلى انغماسهم في الشهوات، وعدم الاكتراث بأمر رب الأرض والسماوات، كما ظهر ذلك جلياً في عدة مجالات، كالجانب التعليمي والقانوني والإعلامي.

وبعد: فهذا هو جهد المقل أضعه بين أيدى أساتذتي الكرام، وقد حاولت قدر جهدي أن أتفهم هذه القضية، وأن أسهم ولو بقدر ضئيل في طرحها وتوضيحها، فإن كان من توفيق فمن الله وحده، فمنه المنة وإليه المآب، وإن كانت الآخرى فمني ومن الشيطان، وحسبي أني بشر أخطئ وأصيب، فالله أسأل وبنبيه أتوسل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يجعله لي في ميزان حسناتي يوم ألقاه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



# المراجع والمصادر

- **القرآن الكريم**

- **الإتقان في علوم القرآن**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم** للدكتور عمر بن إبراهيم، ط: دار طيبة – الرياض.
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**: أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعةالسابعة ١٣٢٣ هـ.
- **الإسلام بين الرسالة والتاريخ** عبد المجيد الشرفي، ط: دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- **الإسلام في حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة**: للدكتور: محمد البهي، ط: مكتبة وهبة القاهرة.
- **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**: د. نصر حامد أبو زيد، ط: المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، السادسة ٢٠٠١م.
- **إشكالية قراءة النص** د. إلياس قويسم رسالة جامعية، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين.
- **الاقتصاد في الاعتقاد**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
- **البحر المحيط في التفسير:** أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر - بيروت ١٤٢٠ه.
- **تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قَايْماز الذهبي، تحقيق/ عمر عبد السلام التدمري، ط: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثانية، هـ - ١٩٩٣ م.
- **تدوين السنة** ابراهيم فوزي ط: رياض الريس للكتب والنشر، الثانية ١٩٩٥م.
- **التراث والتجديد** د.حسن حنفي، ط: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-

بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٢م

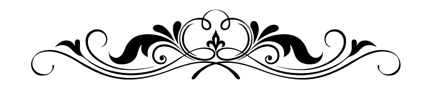
- **تفسير ابن كثير**: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
- **التفسير الماركسي للإسلام** د. محمد عمارة، ط: دار الشروق- القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- **تفسير النسفي**: أبو البركات عبد الله حافظ الدين النسفي، تحقيق/يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب- بيروت، الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- **تاريخ البشرية**: اللجنة الدولية بإشراف منظمة اليونسكو، ترجمة: عثمان نويه، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.
- **الجامع لأحكام القرآن**: أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، ط:دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٦٤م.
- **الحوار بين العلمانيين والإسلاميين** د. محمد عمارة ط: دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٠م.
- **حياة محمد** لإميل درمنغم، ترجمة: عادل زعيتر، ط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الثانية ١٩٨٨م.
- **حياة محمد**: د. محمد حسنين هيكل ط: دار المعارف.
- **دراسات إسلامية**: د. حسن حنفي ط: دار التنوير - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- **دفاع عن محمد** (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) **ضد المنتقصين من قدره**: د. عبد الرحمن بدوي، ترجمة: كمال جادالله، ط: الدار العالمية للكتاب والنشر- القاهرة ١٩٩٩م.
- **رأس المال**: كارل ماركس، ترجمة: فالح عبد الجبار وآخرون، ط: دار ابن خلدون- بيروت، الأولى ١٩٨١م.
- **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** محمود محمد شاكر، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.
- **الرسول والوحي**: د. محمد سيد أحمد المسير، ط: دار ابن كثير - دمشق، الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

- **روح البيان تفسير الألوسي**: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ط: دار الفكر - بيروت.
- **سقوط العلمانية**: أنور الجندي، ط: دار الكتب اللبناني- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
- **صحيح الإمام البخاري:** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر، ط: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **صحيح الإمام مسلم**: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: د.**محمد سعيد رمضان البوطي، ط: جامعة دمشق، الخامسة ١٩٩٢م.
- **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**: د. قحطان الدوري، ط، ناشرون - بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٢م.
- **العلمانية نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميَّة المعاصرة**: د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ط: دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**: د. محمد البهي، ط: دار الفكر - بيروت، الخامسة ١٩٧٠م.
- **القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني**: محمد أركون، ط: دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولي ٢٠٠١م.
- **قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر:** د. حسن حنفي، ط: دار التنوير - بيروت، الثانية ١٩٨٣م.
- **كبرى اليقينيات الكونية**:د.محمد سعيد رمضان البوطي، ط: دار الفكر المعاصر - لبنان ١٩٩٧م.

- **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظو، ط: دار صادر - بيروت، الثالثة ١٤١٤هـ.
- **محمد في مكة:** لمونتجمرى واط، تعريب/ شعبان بركات، ط: المكتبة العصرية صيدا- بيروت.
- **المختار من كنوز السنة النبوية**: د. محمد عبد الله دراز ط: محمد هاشم الكتبي- دمشق ١٩٧٧م.
- **المدخل لدراسة القرآن الكريم:** د. محمد أبو شُهبة، ط: مكتبه السنة - القاهرة، الثانية، ٢٠٠٣م.
- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.
- **معجم مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- **مفاتيح الغيب**: أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق/ صفوان الداودي، ط: دار القلم- دمشق بيروت الأولى ١٤١٢هـ.
- **مفهوم النص:** د. نصر حامد أبو زيد، ط: المركز الثقافي العربي -بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٤م
- **من العقيدة إلى الثورة**: د.حسن حنفي ط: دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، الأولى ١٩٨٨م.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ط: دار الكتاب العربي- بيروت الأولى ١٩٩٥م.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي،

ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثانية ١٣٩٢هـ

- **النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة**: د. طيب تيزيني، ط: دار الينابيع - دمشق ١٩٩٧م.
- **نقد الخطاب الديني**: د. نصر حامد أبو زيد، ط: سينا للنشر- القاهرة، الثانية ١٩٩٤م.
- **نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام**: د. محمد عمارة ط: دار الرشاد القاهرة، الثانية ١٩٩٧م.
- **هموم الفكر والوطن والعربي**: د. حسن حنفي، ط: دار قباء للطباعة والنشر- القاهرة، الثانية ١٩٩٨م.
- **الوحي المحمدي**: محمد رشيد رضا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
- **الوحي والقرآن والنبوة**: هشام جعيط، ط: دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، الأولى ١٩٩٩م.
- **يغالطونك إذ يقولون**: د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط: دار الفارابي- دمشق، الثانية ٢٠٠٠م.



## Resources and references

**- The Holy Quran**

**1- Al-Itkan Fi Ulum Al-Qur'an**: Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti, investigation by Muhammad Abu al-Fadl, published by: The Egyptian General Book Authority 1394 AH / 1974 AD.

**2- Araa' Al-Mustashrekin Hawl Al-Qur'an Al-Karem** by Dr. Omar bin Ibrahim, ed: Dar Taiba - Riyadh.

**3- Irshad Al-Sari le sharh Sahih Al-Bukhari**: Abu Al-Abbas Ahmed bin Muhammad Al-Qastalani Al-Masry, published by: Al-Amiri Grand Press, Egypt, seventh edition, 1323 AH.

**4- Al-Islam bayn Al-Resalah wa al-Tarikh**, Abdul Majeed Al-Sharafi, published by: Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing - Beirut, first edition 2001 AD.

**5- Al-Islam fi Hal Mushkilat Al-Mugtama'at Al-Islamia Al-Mu'asra**: By: Dr: Muhammad Al-Bahi, published by :Cairo Wahba Library.

**6- Ishkalyaat Al-Qira'a wa Alyat Al-Ta'weel**: d. Nasr Hamed Abu Zaid, published by: The Arab Cultural Center - Casablanca, the sixth 2001 AD.

**7- Ishkaleyyat Qira'at Al-Nass**, Prof. Elias Qwaisem, a thesis, Al-Zaytoonah University, the Higher Institute of Fundamentals of Religion.

**8- Al-Iqtisad fi Al-Itiq'ad**: Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi,published by: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, first edition, 1424 AH - 2004 AD

**9- Al-Bahr Al-Moheet Fi Al-Tafseer**: Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf Al-Andalusi, investigation by: Sidqi Muhammad Jamil, ed: Dar Al-Fikr - Beirut 1420 AH.

**10- Tareekh Al-Islam wa Wafiat Al-Mashaheer wa Al-A'lam**: Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad Bin Qaymaz Al-Thahabi, Edited by Omar Abdel Salam Al-Tadmari, published by: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut Edition: Second, H - 1993 AD

**11- Tadween Al-Sunnah,** Ibrahim Fawzy published by: Riyad Al Rayes for Books and Publishing, 2nd 1995 AD.

**12- Al-Turath wa AlTagdeed**, Dr. Hassan Hanafi, published by:

University Foundation for Studies, Publishing and Distribution - Beirut, Fourth Edition 1992

13- **Tafseer Ibn Katheer**: Abu Al-Fida' Ismail bin Kathir Al-Dimashqi, edited by / Muhammad Hussein Shams Al-Din, published by: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First - 1419 AH.

15- **Al-Tafseer Al-Markesi lil Islam** D. Muhammad Emara, published by: Dar Al-Shorouk - Cairo, first edition, 1996 AD.

16- **Tafseer Al-Nasfi**: Abu Al-Barakat Abdullah Hafez Al-Din Al-Nasafi, edited by/ Youssef Ali Badawi, ed: Dar Al-Kalim Al-Tayyib - Beirut, first 1419 AH - 1998 AD.

17- **Tarikh Al-Bashareyya**: The International Committee under the supervision of UNESCO, translated by: Othman Nuwaih, published by: The Egyptian General Book Authority, 1971 AD

18- **Al-Gami' Liahkam Al-Qur'an:** Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi, investigation / Ahmed Al-Baradouni, published by: Dar Al-Kutub Al-Masryah - Cairo 1964 AD.

19- **Hewar bayn Al-Almanyyeen wa Al-Islamieen**, D. Muhammad Emara, published by: Dar Nahdet Misr, Cairo 2000 AD.

20- **Hayat Muhammad (PBUH),** by Emile Darmangham, translated by: Adel Zuaiter, published by: The Arab Institute for Studies and Publishing - Beirut, 2nd 1988 AD.

21- **Hayat Muhammad (PBUH**): Prof. Muhammad Hassanein Heikal, **published by**: Dar Al-Ma'arif.

22- **Derasat Islameyyah**: Prof. Hassan Hanafi, **published by**: Dar Al-Tanweer - Beirut, first edition, 1982.

23- **Defaa' 'an Muhammad (PBUH) dhed Al-Muntakiseen min Qadrih**: Pr. Abdul Rahman Badawi, translated by: Kamal Jadallah, **published by**: International House for Books and Publishing - Cairo 1999.

24- **Ra's Al-Mal**: Karl Marx, translated by: Faleh Abdul-Jabbar and others, ed: Dar Ibn Khaldun - Beirut, the first 1981 AD.

25- **Resala fi Al-Tareeq ela Thaqafatena**, Mahmoud Mohamed Shaker, **published by**: The Egyptian General Book Organization, 1997.

26- **Al-Rasul wa Al-Wahi**: Prof. Muhammad Sayed Ahmad Al-

Mosayyar, **published by**: Dar Ibn Kathir - Damascus, the first 1407 AH - 1987 AD.

27- **Roh Al-Bayan**, Tafsir Al-Alusi: Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husseini Al-Alusi, published by: Dar Al-Fikr - Beirut.

28- **Soqout Al-Almaneyyah**: Anwar Al-Jundi, **published by**: Dar Al-kutub Al-libnani - Beirut, first edition 1973.

29- **Sahih Al-Imam Al-Bukhari**: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah al-Bukhari, edited by Muhammad Zuhair bin Nasser, ed: Dar Tuq al-Najat, Edition: First, 1422 AH.

30- **Sahih Al-Imam Muslim**: Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Nisabouri, edited by: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, ed: Dar ehyaa' al-turath Al-arabi - Beirut.

31- **Al-Aqeedah Al-Islameyyah wa Al-fikr Al-Mo'asser**: Dr. Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti, **published by**: Damascus University, Fifth 1992 AD.

32- **Al-Aqeedah Al-Islameyyah wa Mathahebha**: prof. Qahtan Al-Douri, **published by**: Nasheroun - Beirut, second edition 2012.

33- **Al-Almaneyyah**: **Nash'ataha wa tatawrha wa atharaha fi Al-Hayah Al-Islameyyah**: Prof. Sefr bin Abdul Rahman Al-Hawali, **published by**: Dar Makkah for Printing and Publishing, Makkah Al-Mukarramah 1402 AH - 1982 AD.

34- **Fath al-Bari**, Sharh Sahih al-Bukhari: Ahmad ibn Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani al-Shafe'i, ed: Dar al-Maarifa - Beirut, 1379 AH.

35- **Al-Fikr Al-Islami Al-Hadith wa selatuh bel Iste'mar Al-gharbi**: Prof. Muhammad Al-Bahi, published by: Dar Al-Fikr - Beirut, the fifth, 1970 AD.

36- **Al-Qur'an min Al-tafseer belmawrouth Ela Tahlel Al-Khetab Al-Deini**: Muhammad Arkoun, **published by**: Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing - Beirut, first edition 2001 AD.

37- **Qadhaya Mu'aserah fi Fikrna Al-Mu'asser**: Pr. Hassan Hanafi, **published by**: Dar al-Tanweer - Beirut, 2nd 1983 AD.

38- **Kubra Al-Yakeneyyat Al-Kawneyyah**: Dr. Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti, **published by**: Dar Al-Fikr Al-Mou'asir - Lebanon 1997.

39- **Lisan al-Arab**: Muhammad bin Makram bin Ali Jamal al-Din Ibn

Manthour, ed: Dar Sader - Beirut, 3rd 1414 AH.

40- **Muhammad(PBUH) fi Maccah**: by Montgomery Watt, Arabization / Shaban Barakat, ed: Modern Library Saida - Beirut.

41- **Al-Mukhtar min Kunuz Al-sunnah Al-Nabaweyyah**: Dr. Muhammad Abdullah Diraz, ed: Muhammad Hashem al-Ketbi - Damascus 1977 AD.

42- **Al-Madkhal Lederasat Al-Qur'an Al-Kareem**, Prof. Muhammad Abu Shuhbah, ed: Al-Sunnah Library - Cairo, II, 2003 AD.

**43Al-Mu'jam Al-Wasiet**: The Academy of the Arabic Language in Cairo, ed: Dar Al Maaref, Cairo, second edition, 1973.

44- **Mu'jam Maqayees Al-Lughah**: Ahmad bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, edited by / Abdul Salam Muhammad Harun, ed: Dar Al-Fikr 1399 AH - 1979 AD

45- **Mafateeh Al-Ghayb**: Abu Abdullah Muhammad bin Omar, entitled Fakhr Al-Din Al-Razi, ed: Dar ehyaa' Al-turath Al-Arabi - Beirut Edition: Third - 1420 AH.

46- **Al-Mufradat fi Ghareeb Al-Qur'an**: Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad known as al-Ragheb al-Asfahani, edited by Safwan al-Dawoudi, ed: Dar al-Qalam - Damascus, Beirut I 1412 AH

47- **Mafhoum Al-Nass**: Pr. Nasr Hamed Abu Zaid, ed: The Arab Cultural Center - Beirut, first edition 2014

48- **Min Al-Aqeedah Ela Al-Thawrah**: Prof. Hassan Hanafi, ed: Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing - Beirut, the first 1988 AD

**49- Manahel Al-Irfan Fi Oloum Al-Qur'an: Muhammad Abd al-Azim al-Zarqani, ed: Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut I 1995 AD.**

**50- Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim Bin Al-Hajjaj: Abu Zakaria Mohi Al-Din Yahya Bin Sharaf Al-Nawawi, ed: Dar Ehyaa' Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 2nd 1392 AH**

**51- Al-Nass Al-Qur'ani Amam Ishkaleyat Al-Benyah wa Al-Qira'ah: Dr. Tayeb Tizini, ed: Dar Al-Yanabea' - Damascus 1997 AD.**

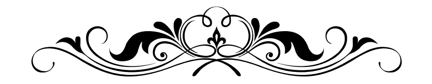
**52- Naqd Al-Khitab Al-Dini: Pr. Nasr Hamed Abu Zaid, ed: Sina Publishing - Cairo, 2nd 1994 AD.**

**53- Nahdatana Al-Hadeetha Bayn Al-Almaneyyah wa Al-Islam: Pr. Muhammad Emara, ed: Dar al-Rashad, Cairo, the second 1997 AD.**

**54- Humoum Al-fikr wa Al-Watan Al-Arabi: Pr. Hassan Hanafi, ed: Dar Qubaa' for Printing and Publishing - Cairo, 2nd 1998 AD.Al-Wahi Al-Muhammadi**: Muhammad Rashid Rida, ed: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, the first, 1426 AH - 2005 AD.

**55- Al-Wahi wa Al-Qur'an wa Al-Nubowa**h: Hisham Je'ait, ed: Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing - Beirut, the first 1999 AD.

**56- Yoghaletonak ith Yakoloun**: Dr. Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti, ed: Dar Al-Farabi - Damascus, the second 2000 AD



## فهــرس الموضوعات

| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|